دليل المقاصد التربوية

لمرحلة البلوغ وبداية الشباب

تقديم

معالي الشيخ الدكتور صالح بن حميد

إمام وخطيب المسجد الحرام، وعضو هيئة كبار العلماء
والمستشار بالديوان الملكي

بالتعاون مع

مركز المقاصد للدراسات والبحوث

إعداد

قراءات لبحوث ودراسات الشباب

برعاية

الجميح الخيرية
AL ALJOMAIH CHARITY

دليل المقاصد التربوية
لمرحلة البلوغ وبداية الشباب

تقديم

معالي الشيخ الدكتور صالح بن حميد

إمام وخطيب المسجد الحرام، وعضو هيئة

كبار العلماء والمستشار بالديوان الملكي

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

دليل المقاصد التربوية لمرحلة البلوغ وبداية الشباب (١٥-١٨) سنة

مركز قراءات لبحوث ودراسات الشباب بجدة

ردمك: ٠-١٣٦١-٠٢-٦٠٣-٩٧٨

١- التربية الإسلامية ٢- المقاصد الشرعية ٣- بلوغ الحلم أ. العنوان

ديوي ١، ٣٧٧ ١٤٣٧/٦٠٥٠

رقم الإيداع: ١٤٣٧/٦٠٥٠

ردمك: ٠-١٣٦١-٠٢-٦٠٣-٩٧٨

محفوظة جميع الحقوق

الطبعة الثانية

١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م

بسم الله الرحمن الرحيم

المحتويات

الموضوع	الصفحة
أولاً: مقدمة	٩
ثانيًا: تحديد مرحلة البلوغ وبداية الشباب	١٧
ثالثًا: المقصد الكلي الجامع لمقاصد المرحلة	٢٣
رابعًا: عرض بطاقات المقاصد التربوية لمرحلة البلوغ وبداية الشباب	٢٩
مقصد حفظ الدين	٣١
مقصد تزكية النفس	١٠٥
مقصد حفظ العقل	١٥٥
مقصد حفظ النسل	١٦٥
مقصد حفظ الأخلاق	٢٦٧
مقصد التعليم	٢٩١
خامسًا: الخاتمة	٣٢٣
سادسًا: المراجع والمصادر	٣٢٩

المشرفون

تقديم

معالي الشيخ الدكتور: صالح بن حميد

إمام وخطيب المسجد الحرام، وعضو هيئة كبار العلماء، والمستشار بالديوان الملكي

الإشراف المقاصدي

فضيلة الشيخ الدكتور: أحمد الريسوني

الرئيس العام لمركز المقاصد للدراسات والبحوث بمدينة الرباط

المشرف العام

الدكتور: يزيد بن سعيد أبو ملحة

رئيس مركز قراءات لبحوث ودراسات الشباب

الراعي للمشروع

مؤسسة آل جميح الخيرية

الإخراج والتنسيق

خطوط الغلاف

الخطاط الأستاذ: عثمان طه

خطاط رسم مصحف مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف

صف وإخراج

الأستاذ: فهد بن محمد العفيف

الأستاذ: عبد الله بن محمد العفيف

تصميم الغلاف

الأستاذ: موسى الطارقي

الفرق العلمية

مدير المشروع

الدكتور: عبد الله الطارقي

مدير الأبحاث والدراسات بمركز قراءات

رئيس فريق الباحثين

الأستاذ الدكتور: خالد الصمدي

الخبير التربوي للمشروع

باحث دليل المقاصد التربوية لمرحلة البلوغ وبداية الشباب

الدكتور: عبدالسلام الأحمر

مركز المقاصد للدراسات والبحوث

فريق المراجعة

الدكتور: عبد الله الطارقي

مدير الأبحاث والدراسات بمركز قراءات

الأستاذ: عبد الكريم الحازمي

محاضر بجامعة الملك عبد العزيز

الأستاذ: إبراهيم بن مصطفى الرفاعي

التدقيق اللغوي

سكرتارية المشروع

الدكتور: حسن السرات

مركز المقاصد للدراسات والبحوث

الأستاذ: فهد بن محمد العفيف

مركز قراءات لبحوث ودراسات الشباب

أولًا

مقدمة

المقدمة

الحمد لله الذي بفضله تتم الصالحات، والصلاة والسلام على النبي الهادي الأمين، وعلى صحابته الأخيار، ومن سار على هديهم واستن بسُنَّتهم واستنار بنهجهم إلى يوم الدين.

أما بعد:

فيتناول هذا الدليل التربوي المقاصدي مرحلة البلوغ وبداية الشباب، التي تعتبر مرحلة متميزة من حياة الإنسان؛ فبعد أن يجتاز المراحل الأولى من طفولته، والتي يكون الطابع الغالب عليها هو البراءة وسذاجة القلب، وعدم تحمل التكاليف، ينتقل مع ظهور علامات البلوغ وتحولاته المتدرجة في الجسم، وما يواكبها من تغيرات كبيرة على مستوى الوجدان والفكر، والتي تُعَدُّ كلها استعدادات ضرورية لتخطي طور الطفولة والولوج إلى طور الرجولة.

ولقد دأب المربون وعلماء الشريعة على إطلاق وصف البلوغ على الطفل، عندما تتهيأ ذاته للاضطلاع بأعباء أمانة التكليف، الذي من أجله خلق الله الإنسان وسخر له ما في الكون، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود: ٧].

إن الاختبار الدائر بين إحسان العمل أو إساءته، يعتبر منعطفًا دقيقًا، وعلى قدر أعلى من الأهمية والخطورة في حياة الكائن البشري، عندما يبلغ السن الذي يصير فيه مسؤولًا عن اختياراته، وعن الأعمال المحققة لها في مسار الحياة، ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٢ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣﴾ [الإنسان: ٢ ـ ٣].

فنصوص الشرع الخاصة بمرحلة البلوغ وبداية الشباب إلى نهاية المراحل العمرية، تدور كلها حول مقصد أساسي واحد، هو إعلام الإنسان وتعليمه بأنه مكلف بممارسة حرية

الاختيار، بين اتباع سبيل الله الذي بشَّرت به الرسالات السماوية، أو اختيار سلوك غير سبيل الله، الذي ترسمه أهواء البشر وتصوراتهم القاصرة، والذي حذَّر منه الشرع، وبيَّن سوء مآله في الدنيا والآخرة.

ثم بيَّنت هذه النصوص، موازاة مع ذلك، مختلف الأعمال المندرجة في اتجاه شكر الله بالتزام تكاليفه، على مستوى العقيدة والعبادة والأخلاق، كما بيَّنت مختلف المواقف والتوجهات، التي تمثل اتجاه الإعراض عن نهج التكليف الإلٰهي والتكذيب به.

فمن مقاصد التربية الإسلامية الأساسية، تمكين المسلم ابتداء من تحديد وجهته، باختيار نهج التكليف في إطار الشرع، والحذر من الزيغ عنه لخوض مسالك أخرى، مما يرسخ ذلك الدعاء الوارد في فاتحة الكتاب، والذي يكرره المصلي على الأقل سبع عشرة مرة في اليوم، وهو متجه بوجهه نحو القبلة.

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ۝٧﴾ [الفاتحة: ٥ ـ ٧].

وإذا كانت المقاصد التربوية المتعلقة بمراحل الطفولة السابقة، تتجه كلها إلى إعداد الطفل للدخول الطوعي في سلك الإيمان والعمل الصالح؛ فإن المقاصد التربوية الخاصة بمرحلة البلوغ وبداية الشباب، تروم التأهيل العملي للبالغ للبداية في ممارسة التكاليف الشرعية والنهوض بالمسؤوليات الحياتية المختلفة.

وأعتقد أن تربية الأجيال الإسلامية في المستقبل، تحتاج إلى بناء المناهج التربوية على أساس ما يمكن تسميته بالمقاصد الاستخلافية، التي من شأنها نفخ نفس المسؤولية والتكليف في تربيتنا الإيمانية، حتى تغدو قادرة على استنهاض الهمم، وتأهيل أبناء الأمة لاستعادة حيويتها وفعاليتها، وريادتها، وذلك في مجال القيم الربانية السامية

والأخلاق العالية، كما في مجال مشاريع النماء والبناء الحضاري الرشيد.

ذلك ما سعيتُ في هذا الدليل جهد المستطاع لإبرازه وتأكيده من خلال النصوص المختارة، التي وردتنا من مركز قراءات لبحوث ودراسات الشباب، وعملنا على تصفيتها وإغنائها، وما تمت صياغته واستلهامه منها من المقاصد الخاصة بمرحلة البلوغ، وكذا المقاصد الجزئية المندرجة تحتها، وذلك في إطار ثلة من مقاصد الشريعة الإسلامية العامة، والتي تم بناء شبكاتها على يد عالم المقاصد الشهير الأستاذ الدكتور أحمد الريسوني.

فأسأل الله ـ تعالى ـ أن يكون هذا العمل خطوة سديدة على نهج تجديد التربية الإسلامية، وتأسيسها على مقاصد الإسلام الكلية وتوجيهاته الثابتة؛ حتى تتمكن من بناء الإنسان القوي الأمين، القادر على استرداد أمجاد الإسلام، واستئناف عطاءاته في مختلف ميادين الحياة.

والله من وراء القصد.. وهو يهدي السبيل

ثانيًا

تحديد مرحلة البلوغ وبداية الشباب

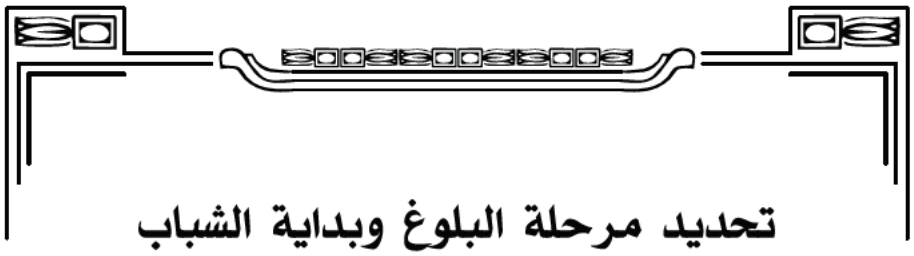

تحديد مرحلة البلوغ وبداية الشباب

اعتمد المشروع تصنيف المراحل العمرية الوارد في كتابه تصنيف المراحل العمرية للطارقي، والذي يقول فيه عن هذه المرحلة: «مرحلة البلوغ وبداية الشباب»، يقول ابن فارس: الشين والباء أصل واحد يدل على نماء الشيء، وقوته في حرارة تعتريه.. والشباب جمع: شاب، وذلك هو النماء والزيادة بقوة جسمه وحرارته[1].

والأصل في مرحلة الشباب الامتداد من (١٥ ـ ٤٠)، غير أن هذا الجزء الأول من المرحلة (١٥ ـ ١٨)، يمتاز بأنه مرحلة مستقلة، لها خصائص، من أهمها:

ـ أنها مقدمة حدوث البلوغ؛ مما يستدعي مزيد عناية.

---

(١) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (٣/ ١٧٧).

ـ أنها السن التي يحدث خلالها البلوغ فيمن تأخر بلوغه:

○ قال ابن رشد: «والبلوغ يكون بالاحتلام والسن بلا خلاف، وإن كان الخلاف في مقداره؛ فأقصاه ثماني عشرة سنة»[(١)].

ـ أن العلماء يجعلون مرحلة الرشد وبلوغ الأشد هي ما بين الثامنة عشرة إلى الأربعين:

○ قال الثعلبي في تفسيره: «﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾ [الأحقاف: ١٥]: نهاية قوّته وقامته وغاية شبابه واستوائه، وهو ما بين ثماني عشرة سنة إلى أربعين سنة»[(٢)].

ـ أن العلماء يرون أنها مرحلة تدرّج في إدخال الشاب للتكليف:

(١) بداية المجتهد ونهاية المقتصد، لابن رشد القرطبي (٤/١٨٨).
(٢) تفسير الثعلبي، الكشف والبيان في تفسير القرآن (٩/١٢).

○ قال النووي: «وفيه تأليف من قرب إسلامه وترك التشديد عليهم، وكذلك من قارب البلوغ من الصبيان، **ومن بلغ**، ومن تاب من المعاصي؛ كلهم يتلطف بهم ويدرجون في أنواع الطاعة قليلًا قليلًا، وقد كانت أمور الإسلام في التكليف على التدريج؛ فمتى يسر على الداخل في الطاعة أو المريد للدخول فيها سهلت عليه، وكانت عاقبته غالبًا التزايد منها، ومتى عسرت عليه أوشك أن لا يدخل فيها، وإن دخل أوشك أن لا يدوم أو لا يستحليها»[(١)].

ـ أن تطبيقات التكليف بالمهام العظام ارتبط في السيرة النبوية بما بعد ١٨ سنة:

○ أمّر النبي ﷺ أسامة بن زيد رضي الله عنهما على الجيش وعمره ثماني عشرة سنة[(٢)].

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي، يحيى بن شرف الدين (١٣٩٢هـ)، دار الفكر، بيروت، لبنان (١٢/ ٤١).

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء، للإمام الذهبي، دار الرسالة (٢/ ٤٩٦).

○ أمّر رسول الله ﷺ عتاب بن أسيد رضي الله عنه على أهل مكة لما خرج إلى حنين، وعمره ثماني عشرة سنة[1].

(١) انظر: السيرة الحلبية، المسماة إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون، لعلي بن برهان الدين الحلبي (٣/ ١٥٠)، للاستزادة يراجع: كتاب تصنيف المراحل العمرية، لعبد الله الطارقي، (ص٨٣)، من منشورات مركز قراءات لبحوث ودراسات الشباب بجدة.

ثالثًا

المقصد الكلي الجامع لمقاصد المرحلة

المقصد الكلي الجامع لمقاصد المرحلة

إن المقاصد الجزئية الخاصة في هذا الدليل بلغت ٢٠ مقصدًا، تعود إلى مثل عددها من المقاصد الخاصة، والتي ترجع في مجملها إلى عدد ستة مقاصد عامة، هي:

١ ـ مقصد حفظ الدين.

٢ ـ مقصد حفظ النفس.

٣ ـ مقصد حفظ العقل.

٤ ـ مقصد حفظ الأخلاق.

٥ ـ مقصد حفظ النسل.

٦ ـ مقصد التعليم.

ومن هنا كان لزامًا تقديم تلخيص كلي عام يجمع تلك المنظومة الرائعة من الشبكة المقاصدية المهمة، وإليك ذلك في السطور الآتية:

مقصد حفظ الدين:

- التلطف والتدرج في تعميق التوجه نحو الإيمان والتدين لدى الشباب عند البلوغ.

- تعميق حاكمية الوحي في وجدان الشباب.

مقصد حفظ الأخلاق:

- الاهتمام بممكنات رسوخ الأخلاق، والعفة؛ كالزواج وغض البصر، وترشيد جنوح البالغ الفطري للاستقلال بتدرج مقبول، وحضه على الإحسان إلى والديه.

مقصد حفظ العقل:

- العناية بعقل البالغ، وتيسير التعليم، وحضه عليه، وتحصينه من الانحراف والغلو.

مقصد حفظ النفس:

- تيسير المباح من اللهو، وتشجيعه على فعل الخير، ودعم عنايته بالجمال.

مقصد حفظ النسل:

○ ضبط تعامل البالغ مع العورات، وتوعيته بما يعينه على العفة، وإعانته عليها.

مقصد التعليم:

○ تعميق الدافعية للعلم وآدابه، وربطه بالعلماء الربانيين، والتأدب بآداب الطلب.

○ ضبط فقه العبادات التي غدت واجبة عليه بمجرد بلوغه.

وبهذا يمكننا تلخيص هذا المقصد الكلي الجامع بقولنا: إن مقصد المقاصد في هذا الدليل هو:

التدرج في تعميق الإيمان وحاكمية الوحي والتدين في نفوس البالغين، وترشيد نزوعهم نحو الاستقلالية بالتوجه نحو النفع والخير، وحضِّهم على العلم والعفة وحسن التصرف في المال والنفس والجسد.

رابعًا

عرض البطاقات المقاصدية

لمرحلة البلوغ وبداية الشباب

مقصد حفظ الدين

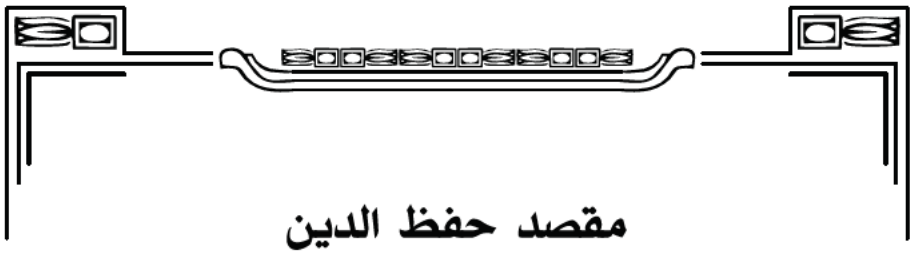

مقصد حفظ الدين

المقصد العام: حفظ الدين.

المقصد الخاص: تعليم البالغ واجبات الدين وسننه، وتدريبه على القيام بها على الوجه المطلوب.

المقصد الجزئي: ربط التكليف بالبلوغ، وتحديده في سن خمس عشرة سنة.

النص الأساسي:

عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: «عرضني رسول الله ﷺ يوم أُحد في القتال، وأنا ابن أربع عشرة سنة؛ فلم يجزني. وعرضني يوم الخندق، وأنا ابن خمس عشرة سنة؛ فأجازني». قال نافع: فقدمت على عمر بن عبد العزيز، وهو يومئذٍ خليفة؛ فحدثته هذا الحديث؛ فقال: «إن هذا لحد بين الصغير والكبير. فكتب إلى عماله أن يفرضوا لمن كان ابن خمس عشرة سنة، ومن كان دون ذلك فاجعلوه

في العيال»[1].

أولًا: التوصيف العلمي:

يفيد الحديث بأن رسول الله ﷺ لم يكن يقبل مشاركة الطفل ذي الأربع عشرة سنة في القتال، ولكنه يقبل ذا الخمس عشرة سنة، وسار على ذلك عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله تعالى ـ.

فهذا ابن عمر رضي الله عنهما يخبر بأنه عُرض على النبي ﷺ يوم أُحد، وهو ابن أربع عشرة سنة؛ فلم يجزه ليشارك في القتال، وعرض عليه يوم الخندق، وهو ابن خمس عشرة؛ فأجازه.

فلما أخبر نافع بذلك عمر بن عبد العزيز قال: هذا أثر؛ فأمر أن يعرض من كان أقل من خمس عشرة في الذرية، ومن كان في خمس عشرة في المقاتلين؛ فاعتبر

(١) صحيح مسلم (٣/ ١٤٩٠).

عمر بن عبد العزيز الدخول في الخمسة عشر في الفرض[١].

وجعل من قصر عنه بخلاف ذلك، وهذا لا يقوله أحد من أصحاب التوقيت للخمسة عشر في حد البلوغ؛ لأنهم يعتبرون كمال الخمسة عشر[٢].

من هذا يتضح بأن الذي اعتبره عمر بن عبد العزيز هو طاقة القتال لا مراعاة البلوغ، ودليله أنه لم يسأل عن سنِّه، وإنما رآه مستحقًّا للفرض حين عرض عليه؛ لما ظهر له من قوته وطاقته وشبابه[٣].

---

(١) **الفرض هو**: أن يقدروا لهم رزقًا في ديوان الجند، وكانوا يفرقون بين المقاتلة وغيرهم في العطاء، وهو الرزق الذي يجمع في بيت المال ويفرق على مستحقيه.

(٢) مختصر اختلاف العلماء (٢/٦)، لأبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري، المعروف بالطحاوي (المتوفى: ٣٢١هـ)، المحقق: د. عبد الله نذير أحمد، الناشر: دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ.

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم (٦/ ٢٨٠)، لعياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (المتوفى: ٥٤٤هـ)، =

وذهب الشافعي والأوزاعي وابن حنبل وابن وهب إلى أن هذا السن من تمام خمس عشرة سنة بعد البلوغ لمن لم يحتلم بعد ولا حاضت من النساء، وأن ببلوغه تتوجه عليهم حقوق الله ـ تعالى ـ وحقوق الآدميين، ويلزمهم التكليف.

وقال نحوه إسحاق، لكنه قال: «إذا دخل في الخمس عشرة سنة فهو بلوغ».

وأبى ذلك مالك وأبو حنيفة وغيرهما من الحجازيين والمدنيين والكوفيين.

قال مالك: لا يحكم لمن لم يحتلم بحكم البلوغ حتى يبلغ سنًّا لا يبلغه أحد إلا احتلم، وذلك سبع عشرة إلى ثمان عشرة.

وقال أبو حنيفة: ثمان عشرة في الغلام وسبع عشرة سنة في الجارية[1].

= المحقق: الدكتور يحْيَى إِسْمَاعِيل، الناشر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

(١) نفسه.

يظهر من الخلاف بين العلماء في اعتبار السن للحكم بالبلوغ استنادهم إلى الاحتلام في الأساس، أو السن الذي يحصل القطع بحدوثه، وهو ١٥ أو ١٧ أو ١٨ سنة، حيث يتغير الحكم بالبلوغ بحسب البيئة المحيطة وما عليه الحال الغالب.

فأقصى السن التي يحكم فيها ببلوغه عند الفقهاء هو ١٨ سنة.

ثانيًا: التوصيف التربوي:

١ ـ تدرج الشباب البالغ للتو في ممارسة التكليف:

يتأكد مما تقدم أهمية تدرج الشباب في ممارسة التكاليف الشرعية، بحسب تدرجهم في النمو الجسمي، حتى يكون دخولهم في البلوغ الكامل مواكبًا لامتلاكهم الاستعداد التام لتحمل أعباء التكليف بكفاءة واقتدار.

فالتكليف متوقف بعد تحقق البلوغ على تحقق شروطه، وهي العقل والعلم والقدرة.

وفي هذا الصدد يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «الأمر والنهي، الذي يسميه العلماء التكليف الشرعي، مشروط بالممكن من العلم والقدرة، فلا تجب الشريعة على من لا يمكنه العلم كالمجنون والطفل، ولا تجب على من يعجز كالأعمى والأعرج والمريض في الجهاد، وكما لا تجب الطهارة بالماء والصلاة قائمًا، والصوم، وغير ذلك على من يعجز عنه»[1].

والشباب لا يصير مكلفًا على وجه التمام، إذا توفرت فيه جميع الشروط، حتى تظهر عليه علامات البلوغ الجسمية، من عقل واحتلام وإنبات، كما لا يثبت عليه التكليف عند وجودها وحدها، وانعدام غيرها من باقي الشروط الأخرى، لذلك فإن «تكليف العاجز، الذي لا قدرة له على الفعل بحال، غير واقع في الشريعة، بل قد تسقط الشريعة التكليف عمن تكمل فيه أداة العلم والقدرة؛ تخفيفًا

(١) مجموع الفتاوى (١٠/ ٣٤٤).

عنه، وضبطًا لمناط التكليف، وإن كان تكليفه ممكنًا، كما رفع القلم عن الصبي حتى يحتلم، وإن كان له فهم وتمييز، لكن ذلك لأنه لم يتم فهمه، ولأن العقل يظهر في الناس شيئًا فشيئًا، وهم يختلفون فيه، فلما كانت الحكمة خفية ومنتشرة قيدت بالبلوغ»[1].

وقد جعل الله ـ تعالى ـ بلوغ الصبي بداية لدخوله في التكليف وتحمل المسؤولية؛ غير أنّ ذلك ينبغي أن يتم من خلال التدرج بهم في الدخول في التكليف؛ حتى يستمروا على ما أراد الله ـ تعالى ـ. ولهذا قال الإمام النووي: «**ومن بلغ**، ومن تاب من المعاصي؛ كلهم يتلطف بهم، ويدرجون في أنواع الطاعة قليلًا قليلًا.

وقد كانت أمور الإسلام في التكليف على التدريج؛ فمتى يسر على الداخل في الطاعة أو المريد للدخول فيها سهلت عليه، وكانت عاقبته غالبًا التزايد منها، ومتى عسرت

(١) نفسه (١٠/ ٣٤٤، ٣٤٥).

عليه أوشك أن لا يدخل فيها، وإن دخل أوشك أن لا يدوم أو لا يستحليها»[1].

اقتراحات إعمال المقصد:

يمكن أن يقترح لإعمال هذه المقاصد الإجراءات الآتية:

- **في المجال الأسري والاجتماعي:**

  ○ تعريف الأسر لأولادهم بعلامات البلوغ ومتعلقاته، إلى جانب تداريب عملية على ممارسة بعض التكاليف المختلفة وتعلم فقهها.

- **في مجال المناهج الدراسية:**

  ○ دمج نصوص علامات البلوغ وما يترتب على البلوغ في الدخول في التكليف الشرعي.

---

(١) النووي، يحيى بن شرف الدين (١٣٩٢هـ)، شرح صحيح مسلم، دار الفكر، بيروت، لبنان (١٢/ ٤١).

- **في مجال النشاط التربوي:**

○ إشراك الطلاب حديثي العهد بالبلوغ في برامج وأنشطة يمارسون فيها التكاليف الشرعية والواجبات الدينية، من خلال النشاط اللاصفي والمخيمات والدورات التدريبية والمسابقات الثقافية.

- **في المجال الثقافي والإعلامي والتقني:**

○ نشر مواد إعلامية تعلم الشباب ما يلزمهم شرعًا بمجرد بلوغهم.

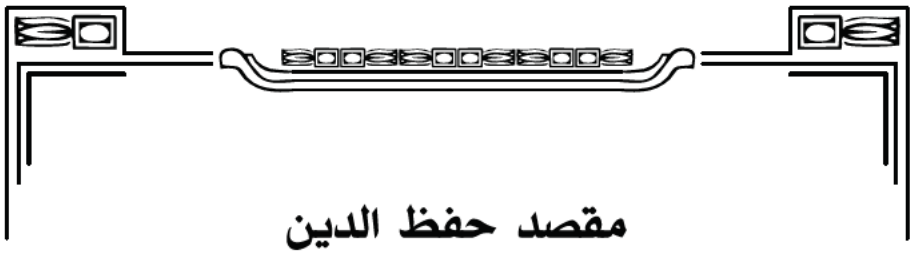

مقصد حفظ الدين

المقصد العام: حفظ الدين.

المقصد الخاص: التربية على الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة، ورفض الغلو والتنطع والابتداع في الدين.

المقصد الجزئي: التحذير من خطر الغلو والسطحية في الدين.

النص الأساسي:

روى البخاري ومسلم في «صحيحيهما» عن علي رضي الله عنه؛ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**سيخرج قوم في آخر الزمان، أحداث الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من خير قول البرية، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، يمرقون من الدين، كما يمرق السهم من الرمية؛ فأينما لقيتموهم فاقتلوهم؛ فإن في قتلهم أجرًا لمن قتلهم يوم القيامة**»[1].

---

(١) رواه البخاري (٩/١٦)، ومسلم (٢/٦٤٨).

التوصيف العلمي:

الأصل أن قول لفظة: «**غلمان أحداث**» و«**شاب حديث السن**» و«**حدثاء الأسنان**» ونحو هذه الألفاظ تطلق على الشباب أول زمان دخوله في الشباب، وهو حديث العهد بالبلوغ، ولهذا قال القسطلاني: «**غلمان أحداث**»؛ أي: جمع: حدث؛ أي: شبانًا[1].

ولهذا قال القاضي عياض في: قَوْلهمْ: «**قوم حدثاء الْأَسْنَان**»؛ أَي: شباب، جمع: حدث السن أَو حَدِيث السن؛ والْحَدِيث الْجَدِيد من كل شَيْء، الْقَرِيب وجوده[2]. فالحداثة هنا الجدة في دخول البلوغ، وهو المستفاد من الإطلاق اللغوي في معنى اللفظة، كما يقرر ذلك الزبيدي في تاج العروس، حيث يقول: «**فأَمّا الحَديثُ؛ فصِفَةٌ يُوصَفُ بهَا**

(١) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، للقسطلاني (١٠/ ١٧١).

(٢) مشارق الأنوار على صحاح الآثار، للقاضي عياض اليحصبي (١/ ١٨٣).

كلُّ شيْءٍ قريبِ المُدَّةِ والعَهْدِ بِهِ»[1].

وهنا لا بد أن نعي أن الذمَّ لهم ليس هو لحداثة أسنانهم، وإنما لسوء اختيارهم وتأثرهم بالباطل، ولعل الأمر كان في غاية الوضوح، حتى عند الخوارج أنفسهم؛ فهذا أبو حمزة الخارجي يجلي الأمر؛ فإنه عند دخوله لمدينة رسول الله ﷺ انتقده الناس بما ليس فيه نقد، وهو أن من معه شباب حديثو عهد ببلوغ (حدثاء الأسنان)؛ فأجابهم بقوله: فقال: «**ويحكم وهل كان أصحاب رسول الله ﷺ إلا شبابًا أحداثًا؟**»[2]!!

وهو أمر من البداهة بمكان؛ إذ كيف يكون الذم على ما ليس لهم فيه دخل؛ فصغر أسنانهم ليس من صنعهم، بل صنعهم هو ما فعلوه.

---

(١) تاج العروس، للزبيدي (٥/٢٠٨).

(٢) ابن كثير، أبو الفداء محمد بن إسماعيل، ١٤٢٠هـ، البداية والنهاية، دار الفكر، بيروت، لبنان (١/ ٥٠).

والحاصل: أن في هذا الحديث يخبرنا رسول الله ﷺ بأنه سيظهر في آخر الزمان قوم **شباب، صغار السن ضعفاء العقول**، يستدلون بالقرآن ولم يوفقوا للعمل بهديه، وهم بذلك يخرجون من الدين، ويتجاوزون فهمه السليم وتنزيله الصحيح؛ فأولئك أمرنا بقتالهم، وأخبر أن في قتلهم أجر عظيم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «بدعة الخوارج إنما هي من سوء فهمهم للقرآن، لم يقصدوا معارضته، لكن فهموا منه ما لم يدل عليه؛ فظنوا أنه يوجب تكفير أرباب الذنوب»[1].

وآفتها الكبرى تكمن في سعيها لقتال المسلمين، بناء على فهمها الخاطئ لمضمون الكتاب والسُّنَّة. ولو أنها وقفت عند حد إبداء رأيها المنحرف، ولم تنتقل لسفك دماء المسلمين، لوسعتها سماحة الإسلام، الذي لا يضيق بتعدد الفهوم واختلاف الآراء.

(١) مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام ابن تيمية الحراني (١٣/ ٣٠).

إنهم قصدوا تطبيق تعاليم الدين، حسب فهمهم الخاطئ لها، وما داموا يريدون فرضها على الناس بالقوة؛ فإن الإسلام لا يجيز لأي كان أن يحمل الناس على فهمه بحد السيف.

لذلك؛ فإن قتالهم واجب منعًا لهم من البغي، وكفًّا لشرهم وفسادهم في الأرض، وبجانب هذا الإجراء الرادع، تمنح لهم دائمًا فرص للتراجع وإعلان التوبة الصادقة، ويدعون لذلك قبل قتالهم.

قال القاضي عياض: «أجمع العلماء على أن الخوارج وأشباههم من أهل البدع والبغي، متى خرجوا على الإمام، وخالفوا رأي الجماعة، وشقوا العصا، وجب قتالهم بعد إنذارهم والإعذار إليهم، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ﴾ [الحجرات: ٩].

لكن لا يجهز على جريحهم، ولا يتبع منهزمهم، ولا يقتل أسيرهم، ولا تباح أموالهم. وما لم يخرجوا

عن الطاعة وينتصبوا للحرب، لا يقاتلون، بل يوعظون ويستتابون عن بدعتهم وباطلهم، وهذا كله ما لم يكفروا ببدعتهم»[1].

فهم يمثلون العضو من جسد الأمة المتقرح، الذي يعالج إن أمكن العلاج، أو يبتر حتى لا يمتد منه الاعتلال إلى سائر الأعضاء.

التوصيف التربوي:

في إطار مقاصد النص يمكن استنباط الفوائد التربوية العملية الآتية:

(١) طرح التثريب في شرح التقريب (٧/ ٢٨١): لأبي الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمٰن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي (المتوفى: ٨٠٦هـ)، أكمله ابنه: أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين الكردي الرازياني ثم المصري، أبو زرعة ولي الدين، ابن العراقي (المتوفى: ٨٢٦هـ)، الناشر: الطبعة المصرية القديمة، وصورتها دور عدة منها: (دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي، ودار الفكر العربي).

١ ـ تحصين الشباب حديثي العهد بالبلوغ خاصة من الأفكار الضالة:

وهو أمر مما بليت به الأمة على مختلف العصور، حتى في زماننا هذا لا يزال هناك من يروج لأفكار منحرفة تجتاح الشباب حدثاء الأسنان.

٢ ـ تدريب الشباب الصغار على منهج التقويم الفكري للأشخاص والجماعات:

والذي يلزم أن يراعى فيه التفريق بين الطالب للصواب المخفق في بلوغه، والطالب للضلال الواقع فيه، حيث يستفرغ الجهد في محاورة الفئة الأولى، وتبصيرها بما وقعت فيه من وهم والتباس، والإمساك عن محاولة تغيير سلوك الفئة الثانية، دون دراسة وتحليل لتصوراتها، الممنهجة لفكرها ومواقفها الشاذة، ومواجهة شرها بما يلزم من الحسم والعزم.

٣ ـ تربية الشباب على الاجتهاد في طلب العلم، على يد العلماء الراسخين في العلم، المعروفين بالاتزان وعدم الغلو:

واختبار وتمحيص الأفكار والآراء التي تبدو لهم صائبة

بعرضها للتقويم والنقاش والنقد؛ ليتبينوا صحيحها من سقيمها، وينفون عنها الشبه والأوهام.

اقتراحات إعمال المقصد:

يمكن أن يقترح لإعمال هذه المقاصد الإجراءات الآتية:

- **في المجال الأسري والاجتماعي:**
  - اعتماد الأسر على منهجية المتابعة للأولاد وتحصينهم من الأفكار الطائشة عبر مواقع الإنترنت والشبكات، أو المتسللة عبر الرفقة والأصحاب، ومتابعة اتزانهم في تدينهم واختياراتهم.
- **في مجال المناهج الدراسية:**
  - تضمين المنهج التعليمي الموجه للشباب استعراض الأفكار والمذاهب المنحرفة عن حقيقة الإسلام، وتحديد نوع الخلل الحاصل عندها، والأسباب المؤدية إليه، والتعريف بمدى خروجه عن مقاصد الإسلام.

- **في مجال النشاط التربوي:**

○ العناية الفكرية الثقافية بالشباب، وملء الفراغ الذي تتسلل من خلاله الأفكار والنزعات الطائشة والجذابة، وتضمين ذلك الأنشطة الثقافية والتربوية الموجهة للشباب في التعليم.

- **في المجال الثقافي والإعلامي والتقني:**

○ بث مواد تثقيفية لكيفية معرفة الانحراف الفكري عند الشباب حديث السن، وكيف يتم اقناعه واستنقاذه بلطف من يد الأفكار والجماعات المتشددة عن هدي الإسلام وسماحته.

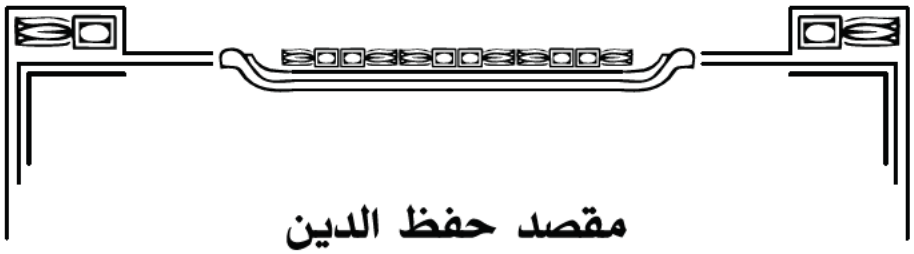

مقصد حفظ الدين

المقصد العام: حفظ الدين.

المقصد الخاص: التربية على مدارسة القرآن وتدبره، وبيان أحكامه وحكمه والعمل بهديه.

المقصد الجزئي: تشجيع المتعلمين على تدبر القرآن والاستفسار حول دلالاته.

النص الأساسي:

عن هشام بن عروة، عن أبيه؛ أنه قال: قلت لعائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ وأنا يومئذٍ حديث السن: أرأيت قول الله ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ﴾ [البقرة: ١٥٨]، فلا أرى على أحد شيئًا أن لا يطوف بهما؛ فقالت عائشة: «كلا، لو كانت كما تقول كانت: فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما، إنما أنزلت هذه الآية في الأنصار،

كانوا يهلون لمناة، وكانت مناة حذو قديد، وكانوا يتحرجون أن يطوفوا بين الصفا والمروة؛ فلما جاء الإسلام سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك؛ فأنزل الله ـ تعالى ـ ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ [البقرة: ١٥٨]»[(١)].

التوصيف العلمي:

الأصل أن قول لفظة: «غلمان أحداث» و«شاب حديث السن» و«حدثاء الأسنان» ونحو هذه الألفاظ تطلق على الشباب أول زمان دخوله في الشباب، وهو حديث العهد بالبلوغ، ولهذا قال القسطلاني: «غلمان أحداث»؛ أي: جمع: حدث؛ أي: شبانًا[(٢)].

ولهذا قال القاضي عياض في قَوْلهمْ: قوم حدثاء الْأَسْنَان؛ أَي: شباب، جمع: حدث السن أَو حَدِيث السن؛

(١) رواه البخاري (٣/ ٦).

(٢) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، للقسطلاني (١٠/ ١٧١).

والْحَدِيث الْجَدِيد من كل شَيْء الْقَرِيب وجوده[1]. فالحداثة هنا الجدة في دخول البلوغ، وهو المستفاد من الإطلاق اللغوي في معنى اللفظة، كما يقرر ذلك الزبيدي في «تاج العروس» حيث يقول: فأَمّا الحَديثُ؛ فصِفَةٌ يُوصَفُ بهَا كلُّ شيْءٍ قريبِ المُدَّةِ والعَهْدِ بِهِ[2].

والإمام ابن الأثير، كما نقل الزرقاني في «شرح الموطأ»، يصرح بأن عروة بن الزبير كان حديث عهد بالبلوغ؛ فيقول: قول عروة بن الزبير: «حديث السن»، «هو كناية عن الشاب أول العمر»[3].

والعلماء كثيرًا ما يصرحون بمثل هذا؛ فنجد أبا الوليد الباجي في «المنتقى» في مثل هذا الموضع في شرحه لقول

(١) مشارق الأنوار على صحاح الآثار، للقاضي عياض اليحصبي (١/ ١٨٣).

(٢) تاج العروس، للزبيدي (٥/ ٢٠٨).

(٣) شرح الزرقاني على موطأ مالك (٢/ ٤٧٢).

عبد الله بن أبي حبيبة: «وأنا يومئذٍ حديث السن» قال الباجي: وكان عبد الله بن أبي حبيبة قد بلغ الحلم، إلا أنه كان صغيرًا بحدثان البلوغ[1].

سأل عروة بن الزبير عائشة رضي الله عنها وهو شاب صغير السن، عن قول الله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ﴾ [البقرة: ١٥٨] وأخبرها بما فهمه منها، حيث لا يرى على أحد شيئًا إذا لم يطف بهما؟ فبيَّنت له أمنا عائشة رضي الله عنها أنّ فهمه غير صحيح؛ إذ لو كان المراد منها كما يقول كانت: فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما، وبيَّنت له بأنها إنما أنزلت في الأنصار، الذين كانوا يهلون لمناة، وكانت مناة حذو قديد، وكانوا يتحرجون أن يطوفوا بين الصفا والمروة؛ لأن هذا المكان يذكرهم بعبادتهم للأصنام؛ فلما

(١) المنتقى شرح الموطأ، لأبي الوليد الباجي، مطبعة السعادة، ١٣٣٢هـ، (٣/ ٢٣٢).

جاء الإسلام ودخلوا فيه، سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك؟ فأنزل الله الآية المذكورة التي تنفي عنهم ما يشعرون به من الحرج.

قال أبو سليمان: قد أعلمت عائشة رضي الله عنها السبب في نزول الآية بنفي الحرج، وأن المعنى في ذلك لم ينصرف إلى نفس الفعل لكن إلى محل الفعل، وذلك أنهم كانوا يعبدون في تلك البقعة الأصنام؛ فتحرجوا أن يتخذوها متعبدًا لله ـ تعالى ـ.. وكانت عائشة رضي الله عنها ترى أن السعي بين الصفا والمروة فرض، وإليه ذهب مالك والشافعي وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه.

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما؛ أنه قال: السعي بين الصفا والمروة تطوع، وكذلك قال ابن سيرين، وإليه ذهب سفيان الثوري وأصحاب الرأي، وقال سفيان: من تركه فعليه دم، وقال أصحاب الرأي: إن تركه ناسيًّا جبر بدم[1].

(١) معالم السنن، وهو شرح سنن أبي داود (٢/ ١٩٥ ـ ١٩٦)، =

كان إذًا سبب الحرج بالنسبة للصحابة أن يعبدوا الله بأداء مناسك السعي بين الصفا والمروة في المكان نفسه، الذي كانوا يعبدون فيه الأصنام في الجاهلية؛ فاستفسروا رسول الله ﷺ عما يحسون به من الحرج؛ فبيَّن الله لهم بأن هذا الحرج مرفوع عنهم، بل الظاهر أن عبادة الإنسان لله ـ تعالى ـ في المكان الذي عصى الله فيه هو خير تكفير عن سالف معصيته، وأن حصول هذا التحول من الضلال إلى الهداية في ذات المكان، يجب أن يكون مصدر اعتزاز وابتهاج بالتوبة إلى الحق المبين. لكن من جهة أخرى يصح نفور النفس من المكان الذي يذكِّرها بالمعصية؛ خوفًا من الميل إليها من جديد، واجتنابًا للتشويش على النفس وتعكير استقامتها، وإعلانها التوبة الصادقة.

= لأبي سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي، المعروف بالخطابي (المتوفى: ٣٨٨هـ)، الناشر: المطبعة العلمية، حلب، الطبعة الأولى، ١٣٥١هـ ـ ١٩٣٢م.

إن سلوك عروة بن الزبير رضي الله عنه مثال جيد لما يلزم أن يسير عليه الشباب، خصوصًا حديثي السن، في تدبر القرآن ودراسته، فلا يجمدون على ما يتبادر إلى أذهانهم من فهوم في كتاب الله، وإنما يعرضونها على الأساتذة والعلماء؛ ليحصلوا منهم على توجيهاتهم وتسديداتهم المفيدة.

التوصيف التربوي:

يستفاد من الحديث المقاصد التربوية الآتية:

١ ـ ضرورة تربية الشباب على امتلاك الشجاعة، لطرح أسئلتهم واستشكالاتهم وإبداء ملاحظاتهم مع المربين والعلماء، وتعليمهم منهج طرح السؤال من المتعلم للأستاذ، وأيضًا من الأستاذ للمتعلم، باعتباره منهجًا تربويًّا إسلاميًّا، أسوة بشباب الصحابة، الذين دأبوا على سؤال الرسول ﷺ ليتعلموا منه أمور دينهم، وكانوا يسألون كبار الصحابة ليتفقهوا في الدين دون خجل أو وجل. لكن مع اجتناب الأسئلة المحرجة، التي تخل بالمروءة، واللباقة اللازمة في

طلب العلم، فلا تفريط في التساؤل ولا إفراط، كما حذرنا القرآن الكريم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾﴾ [المائدة: ١٠١]؛ فطرح السؤال مهارة وفن مرتكزة على مسؤولية المتعلم الذي عليه ألا يتخلى عن طرح ما يتعين طرحه من الأسئلة، وفي المقابل لا يتنطع في السؤال، وإنما يحسن توجيهه في الوقت المناسب وبطريقة متزنة.

٢ ـ تعليم الشباب آداب طلب العلم، عن طريق التوجه باستفساراتهم وأسئلتهم لمن يثقون في علمه وتقواه من المشايخ المشهود لهم بالدراية والتمكن؛ لكي يتعلموا منهم ما جهلوا، ويتبينوا على أيديهم ما أشكل عليهم إدراكه وفهمه. فقد اعتاد شباب السلف الصالح شد الرحال وقطع القفار؛ ليجالسوا العلماء ويستفسروهم في مسائل علمية عزَّ عليهم فهمها، ويأخذون عنهم ما اشتهروا به من صنوف المعرفة.

٣ ـ على المربين حسن توظيف طريقة طرح السؤال على المتعلمين؛ لكسب اهتمامهم بالدرس: وهو مما يلفت انتباه الشباب إلى القضية موضوع الدراسة، ولتنشيط عملية البحث والتفكير لديهم، وإعدادهم لتلقي المعرفة وإدراك قيمتها ومدى احتياجهم لتعلمها، ورفع جهلهم بدقائقها وحقائقها، وحملهم على توجيه أسئلتهم التعلمية الهادفة، لتبين ما خفي والتبس على أفهامهم، وألا يستحيوا من ذلك أو يتحرجوا من المواظبة عليه.

اقتراحات إعمال المقصد:

يمكن أن يقترح لإعمال هذه المقاصد الإجراءات الآتية:

- **في المجال الأسري والاجتماعي:**

  - تحفيز الأسر أولادهم وفتياتهم الشباب الصغار لتدبر القرآن الكريم، وسؤال أهل العلم عن فهومهم.

- **في مجال المناهج الدراسية:**

○ دمج منهجية سؤال أهل العلم عن فهومنا الأولية للقرآن الكريم والحديث الشريف منهج ينبغي تعلم الأجيال الشابة له من خلال مناهج التعليم.

- **في مجال النشاط التربوي:**

○ تنظيم أنشطة يتدرب فيها الشباب على تأمل وتدبر القرآن الكريم.

- **في المجال الثقافي والإعلامي والتقني:**

○ بث برامج إذاعية وتلفزية موجهة للشباب، تتلقى تساؤلاتهم ومشاكلهم، وترد عليها بما يشفي غليلهم ويسد حاجتهم.

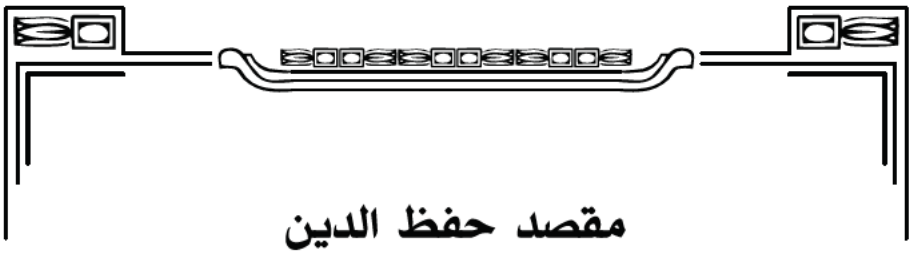

مقصد حفظ الدين

المقصد العام: حفظ الدين.

المقصد الخاص بالمرحلة: الإرشاد إلى التعرف على آيات الله في الأنفس والآفاق، والاعتبار بها.

المقصد الجزئي: إبراز عناية الله في خلق الإنسان عبر أطوار مختلفة.

النص الأساسي:

يقول ـ تعالى ـ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾﴾ [الروم: ٥٤].

التوصيف العلمي:

خلق الله الإنسان ابتداء من ضعف متمثل في حالة النطفة والجنينية والطفولة، ثم جعل من بعدها مرحلة قوة

الشباب، ثم جعل من بعد قوة الشباب والكهولة مرحلة ضعف الكبر والهرم انتهاء.

فهو ـ تعالى ـ يخلق على هذا النحو بمشيئته القائمة على العلم والقدرة وتمام الحكمة.

وقيل: ﴿مِّن ضَعْفٍ﴾؛ أي: من شيء ضعيف، لا قوة له، وهو المني. أو أريد به الطفولة؛ وهي مكمن الضعف، والقوة سن الشباب والفتوة، والضعف الذي يعقب هذه القوة هو الهرم والشيخوخة[1].

فالله ـ تعالى ـ يلفت انتباهنا من وراء استعراض هذه الأطوار الثلاثة، وهي الطفولة ثم الشباب ثم الشيخوخة، إلى حكمته البالغة من خلق العنصر البشري، الذي ينتقل من مرحلة إلى التي تليها، لعله يحسن استغلال ما ركب فيه من

(١) انظر: أوضح التفاسير (١/٤٩٨)، لابن الخطيب محمد محمد عبد اللطيف (المتوفى: ١٤٠٢هـ)، المطبعة المصرية ومكتبتها، الطبعة السادسة، رمضان ١٣٨٣هـ ـ فبراير ١٩٦٤م.

قدرات الشباب والفتوة في إحسان الفكر والاعتبار والعمل قبل أن تسحب منه قواه عندما يدخل طور الشيخوخة وأرذل العمر، الذي يحصل فيه تراجع كبير في طاقات الفكر والجسم، قبل الرحيل الحتمي عن الحياة الدنيا.

يقول الشيخ الشعراوي: «فالطفل يُولَد لا حولَ له ولا قوة، ثم يأخذ في النمو والكِبَر؛ فيستطيع الجلوس، ثم الحَبْو، ثم المشي، إلى أنْ تكتمل أجهزته ويبلغ... وعندها يُكلِّفه الحق ﷻ وينبغي أنْ نكلفه نحن أيضًا، وأنْ نستغل فترة الشباب هذه في العمل المثمر»[1].

فخضوع الإنسان لهذا المسار والانتهاء إلى مصير الموت، كفيل وحده أن يوجه العقل للتفكر في مغزى الوجود، وأن الناس لا يمكن أن يخلقوا عبثًا أو يتركوا هملًا، دون أن يبين لهم الخالق ـ سبحانه ـ لماذا خلقهم

(١) تفسير الشعراوي، الخواطر (١١٥٢٩/١٨ ـ ١١٥٣٠)، لمحمد متولي الشعراوي (المتوفى: ١٤١٨هـ)، مطابع أخبار اليوم، دون تاريخ.

على ما هم عليه، من جوانب ضعف وقوة، وحياة وموت، وصلاح وفساد، وأن حالهم هذه تحمل العقلاء في كل زمان ومكان على تلقي وحي الله المنزل على رسله بما يلزم من تقبل وتصديق.

التوصيف التربوي:

يندرج هذا النص القرآني في إطار إبراز المقاصد التربوية الآتية:

١ ـ إبراز تجليات صفات الخالق من إرادة وعلم وقدرة، من خلال خلق الإنسان في أطوار مختلفة:

وذلك لحكم إلٰهية عظيمة تخالف ما تهواه النفس، من حياة لا موت بعدها، وصحة لا يتخللها سقم وعياء، وشباب دائم لا تأتي عليه متغيرات الكبر والشيخوخة.

٢ ـ تمكين الإنسان من التنشئة على اكتساب المعارف والخبرات الحياتية تدريجيًّا:

ويشمل ذلك التدرج في تحمل التكاليف والمسؤوليات

تبعًا لتزايد قدراته الذاتية، مما يتيسر معه حسن استيعابها وتطبيقها رويدًا رويدًا، وترسخها في كيانه واعتياده لها، بعيدًا عن إدخاله فيها ضربة واحدة، وهو ما قد ينتهي به إلى استثقالها والنفور من القيام بها.

ومن ثم «فإن آفتنا نحن، ومن أسباب تأخُّر مجتمعاتنا، أننا نطيل عمر طفولة أبنائنا؛ فنعامل الشاب حتى سِنِّ الخامسة والعشرين على أنه طفل، ينبغي علينا أن نلبي كل رغباته»[1].

٣ ـ إن مسار حياة الإنسان، الذي ينطلق من ضعف الطفولة، وينتهي إلى ضعف الشيخوخة:

إنه مجال خصب للتفكر في آيات الله في الأنفس ـ على وجه الخصوص ـ حتى تقوده عن طريق الإرشاد والتعليم إلى التدبر والاعتبار، واستنتاج الحكم والعظات، الموجهة للفكر والوجدان صوب الإيمان بالله، وفهم حكمته

(١) المصدر السابق.

من خلق الإنسان، وإدراك عظم المهمة الموكولة إليه في الوجود، والتي هي استخلافه في الأرض، وتحميله مسؤولية التكليف.

٤ ـ توضيح أن القوة في طور الشباب هي مجمل الاستعدادات العقلية والجسمية:

والشباب بحاجة لتنبيهه عنها؛ حتى يحسن استثمار هذه المرحلة بفاعلية، والقيِّمون على شؤونه من والدين ومعلمين وسائر المربين بحاجة لمعرفة هذا النظام الرباني في خلقه والعمل وفق رؤيته، وهو مما يوظف في تنمية مختلف القدرات وتوجيهها في طريق الصلاح والرشاد، وما تتحقق به سعادة الأولى والآخرة.

اقتراحات إعمال المقصد:

يمكن أن يقترح لإعمال هذه المقاصد الإجراءات الآتية:

- **في المجال الأسري والاجتماعي:**
  - اعتماد الأسرة ظاهرة المراحل الثلاث في استعراض

أطوار الخلق؛ لحث الشباب على التفكر في آيات الله في الأنفس والآفاق، وتقوية عقيدة التوحيد.

- **في مجال المناهج الدراسية:**
  - دمج نظريات الوحي في سننية المراحل العمرية الثلاث ضمن مناهج التعليم.

- **في مجال النشاط التربوي:**
  - التوظيف التربوي لسُنَّة الله في خلق الخلائق المختلفة على أساس البداية من ضعف ثم بلوغ القوة والكمال قبل الارتداد إلى الضعف والفناء، وذلك من خلال الأنشطة الصفية واللاصفية.

- **في المجال الثقافي والإعلامي والتقني:**
  - بث مواد إعلامية عن المراحل العمرية ونظرياتها في القرآن الكريم والحديث الشريف، عبر وسائل الإعلام والتطبيقات التقنية.

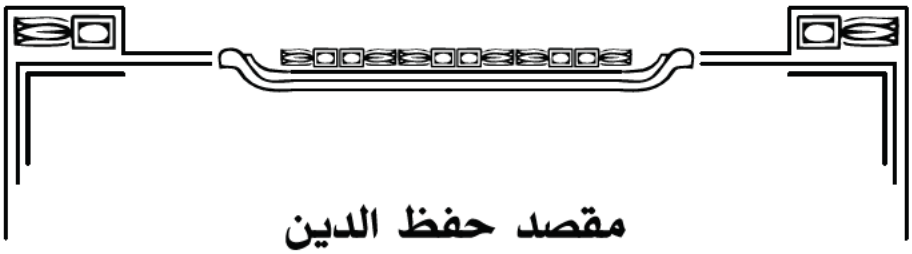

مقصد حفظ الدين

المقصد العام: حفظ الدين.

المقصد الخاص: تعزيز ميل الشباب فطرة إلى مكافحة الضلالات الراسخة في المجتمع، والدفاع عن عقيدة التوحيد، والتشبث بها، رغم ضغوطات المجتمع.

المقصد الجزئي: بيان أن اختيار الحق والهداية متاح لكل إنسان؛ كبيرًا أو صغيرًا، وأن الفتيان أسرع في اعتناقه والانتساب إليه، والتضحية من أجله.

النص الأساسي:

يقول ـ تعالى ـ: ﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [يونس: ٨٣].

التوصيف العلمي:

يفيد هذا النص، مثل كثير من نصوص القرآن الكريم،

بأن أتباع الأنبياء هم في الغالب الأعم من الفتيان والشباب؛ فالذين آمنوا بموسى ورسالته قلة قليلة من صغار السن، وهم الشباب الصغار، وكانوا خائفين من بطش فرعون وحاشيته؛ لما عُرف عنه من علو وطغيان، وإمعان في الكفر والعماية.

يقول الإمام ابن كثير: «يخبر ـ تعالى ـ أنه لم يؤمن بموسى عليه السلام مع ما جاء به من الآيات البينات والحجج القاطعات والبراهين الساطعات، إلا قليل من قوم فرعون، من الذرية ـ وهم الشباب ـ على وجل وخوف منه ومن ملئه، أن يردوهم إلى ما كانوا عليه من الكفر؛ لأن فرعون كان جبّارًا عنيدًا مسرفًا في التمرد والعتو، وكانت له سطوة ومهابة، تخاف رعيته منه خوفًا شديدًا»[1].

يقول عبد الرحمٰن السعدي عند قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَمَآ

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٢٨٧)، لابن كثير أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوۡمِهِۦ﴾ [يونس: ٨٣]؛ **أي: شباب من بني إسرائيل، صبروا على الخوف؛ لما ثبت في قلوبهم الإيمان**(١).

فالشباب ـ خصوصًا أول زمان بلوغه ـ عندما يتبين له الحق، يعبِّر عن معانقته والانحياز إليه بشجاعة وثبات، ولا يصده عن ذلك إرهاب الطغاة، وتوعدهم بالتنكيل والتعذيب للمقبلين على الإيمان بالله، خلاف كبار السن، الذين يغلب عليهم الخوف والتردد.

فموسى عليه السلام «دعا الآباءَ فلم يجيبوه؛ خوفًا من فرعون، وأجابتْه طائفةٌ من شبانهم»(٢).

ويمكن تفسير هذه الظاهرة بما يأتي: «أن الذرية والشباب أقبل للحق، وأسرع له انقيادًا، بخلاف الشيوخ

---

(١) تفسير السعدي (٣٧١).

(٢) إرشاد العقل السليم (٤/ ١٧٠)، لأبي السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت.

ونحوهم، ممن تربى على الكفر فإنهم ـ بسبب ما مكث في قلوبهم من العقائد الفاسدة ـ أبعد عن الحق من غيرهم»[(١)].

ويرجع الشيخ أبو زهرة سبب إقبال الشباب أكثر من الشيب على دعوات الرسل لكون الجيل الجديد «لم يتمرسوا بذلّ الفرعونية، والشباب إنما يكونون أكثر مسارعة إلى الحق وأقل تمسكًا من آبائهم بأهداب القديم، خاصة إذا كان ذليلًا»[(٢)]. ثم يضيف سببًا آخر، وهو حبهم للحرية؛ فيقول: «وذكر الذرية دون عمومهم؛ لأن الذرية تطلب الحرية وتبتغيها، وشيوخهم غرست في نفوسهم العادات والعبادات المصرية القديمة، ورضوا بالدون من الحياة»[(٣)].

---

(١) تيسير الكريم الرحمٰن في تفسير كلام المنان، (ص٣٧١)، لعبد الرحمٰن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، المحقق: عبد الرحمٰن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م.

(٢) زهرة التفاسير، لأبي زهرة (٧/ ٣٦٢٢).

(٣) نفسه.

كما أن الشباب أكثر تجاوبًا مع الجديد من كل شيء؛ نظرًا لما يعرفه كيانهم من نمو وتطور مستمر، يحمله على الانفتاح على ما تزخر به الحياة من تغيرات وتحولات، «وهذا يعني أن الشبان هم أقرب من غيرهم إلى تقبّل الجديد، والأخذ به، سواء كان من ماديات الحياة أو معنوياتها.. وهذا يعني ـ أيضًا ـ: أن تحركات الأمم نحو التجديد تكون على يد الشبان.. أما الشيوخ؛ فقلّ أن يستجيبوا لجديد يدعون إليه.. إذ إن طول الفهم لما هم فيه من عادات، وتقاليد، ومعتقدات، قد شدّهم إلى ما هم فيه، وربطهم به؛ فكان فكاكهم منه عسيرًا شاقًا.. ونجد هذا في الدعوة الإسلامية.. فقد كان المستجيبون لها، والسابقون إلى الإيمان بالله، هم من كانوا في مرحلة الشباب، لم يخرجوا منها بعد إلى مرحلة الشيخوخة»[1].

(١) التفسير القرآني للقرآن (٦/ ١٠٦٣ ـ ١٠٦٤)، لعبد الكريم يونس الخطيب المتوفى بعد: (١٣٩٠هـ)، الناشر: دار الفكر العربي، القاهرة.

فالفطرة الإنسانية تكون أقوى ما تكون في مرحلة الشباب، حيث تعبِّر عن وجودها بدافع من قوة البدن وتزايد الثقة بالنفس، اللذين يميزان هذه المرحلة.

يقول الشعراوي: «وكلمة (ذرية) تفيد الصغار الذين لم تلمسهم خميرة من الفساد الذي كان منتشرًا، كما أن الصغار يتمتعون بطاقة من النقاء، ويعيشون في خلوّ من المشاكل، ولم يحصلوا على مرتبة السيادة التي يحرص عليها»[1].

وتكرار كونهم صغارًا وكونهم شبابًا جعلنا نقول بأن أول مراحل الشباب وحداثة العهد بالبلوغ من سماتها المبادرة لقبول الحق واعتناقه أكثر من كبار السن.

فالشباب عمومًا لم تتوطد بعد علاقاتهم بالحياة الدنيا؛ فيكونون نتيجة ذلك أكثر حرية تجاه ما يشد إليها، ويدعو للحرص عليها؛ فتكون قابليتهم للتضحية بها أعظم، مقارنة مع متوسطي الأعمار وكبار السن.

(١) تفسير الشعراوي (١٠/ ٦١٤٧).

جاء في دراسة: جهود العلماء بتوجيه الشباب في السيرة النبوية: «أثبت علماء السير وغيرهم أنّ أكثر أصحاب محمد ﷺ هم الشباب، وهو واقع استجابة الله ـ تعالى ـ لتلك الدعوة: «**بل إني أرجو أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا**»[1].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ عن حال من كان مع النبي ﷺ: «ولهذا كان أكثر المستجيبين لله تعالى ولرسوله ﷺ شبابًا، وأما المشايخ من قريش فكثير منهم بقوا على دينهم، ولم يُسلِم منهم إلا القليل»[2].

وقال الإمام أحمد من قبله ـ في جواب سؤال ابنه في تفسير حديث: «**اقتلوا شيوخ المشركين واستحيوا شرخهم**» ـ: الشيخ لا يكاد أن يسلم، والشاب يسلم[3].

---

(١) رواه البخاري (٣٢٣١).

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٣/ ١٢١).

(٣) رواه أحمد (٥/ ١٣).

ويزيد أنس بن مالك، خادمِ النَّبِيِّ ﷺ، الأمر إثباتًا فيقول: «قدم النَّبِيُّ ﷺ ولَيسَ في أَصحابه أَشْمَطُ غيرَ أَبي بكر؛ فغلَفها بِالْحِنَّاءِ وَالْكَتَم»[1]. والشمط: بياض الشعر يخالط سواده[2].

ولما دخل أبو حمزة الخارجي المدينة قيل له في أصحابه: إنهم صغار أحداث؛ فقال: «ويحكم وهل كان أصحاب رسول الله ﷺ إلا شبابًا أحداثًا»[3].

وحين قدم العباس في بيعة العقبة ليستوثق لابن أخيه محمد ﷺ؛ قال جابر في روايته للقصة: «فلما نظر العباس في وجوهنا قال: هؤلاء قوم لا نعرفهم، هؤلاء أحداث»[4]. فهو يعرف رجالات المدينة الكبار الذين هم في سنِّه، ولا

(١) رواه البخاري (٥/ ٨٩).

(٢) القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ص٨٧٠).

(٣) البداية والنهاية، لابن كثير (١/ ٥٠).

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٦٨١) وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد» جامع لبيعة العقبة، ولم يخرجاه.

يعرف هؤلاء الشباب الصغار؛ الرعيل الأول الذين تعهدوا نبتة الإسلام، وسقوها ببذلهم حتى استوى الإسلام على سوقه، بل إن دولة الإسلام الأولى ما قامت إلا على عاتق هؤلاء الشباب الصغار حديثي العهد ببلوغ.

وقد تبصّر علماؤنا الأوائل هذه الحقيقة؛ فقال ابن كثير في تفسير هذه الآية: «فذكر الله ـ تعالى ـ أنهم فتية، وهم الشباب؛ وهم أقبل للحق، وأهدى للسبيل من الشيوخ الذين انغمسوا في دين الباطل»[1].

وقال عطاء الخراساني: «طلب الحوائج إلى الشباب أيسر من طلبها من الشيوخ؛ يتأول قول يوسف عليه السلام: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [يوسف: ٩٢]، وقول أبيه يعقوب عليه السلام: ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ﴾ [يوسف: ٩٨]»[2].

(١) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء محمد بن إسماعيل ابن كثير، ١٤٢٠هـ، دار طيبة للنشر، الرياض، السعودية (٣/ ١٢١).

(٢) تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢١٩٥).

وقال الحسن في تفسير قوله ـ تعالى ـ: «﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ [التوبة: ٤١]؛ أي: شيبًا وشبابًا[١]. فالثقال هم ذوي الشيبة والمشيخة، والخفاف هم الشباب؛ لأنهم أسرع في الاستجابة»[٢].

التوصيف التربوي:

يمكن استثمار النص لتبين مقاصده التربوية الآتية:

١ ـ تصحيح التصورات التقليدية المستحكمة لدى الناس، بأن فترة الشباب تعرف بالطيش:

وأن مرحلة الشباب مرحلة ضعف النضج العقلي، وفقدان القدرة على ممارسة المسؤولية بصورة كاملة، بحيث إن تعميم هذا العرف على كل الشباب يكون ظالمًا في حق

(١) تفسير الطبري، الرسالة (١٠/ ١٣٧).

(٢) انظر: دراسة بعنوان: جهود العلماء في العناية بتوجيه الشباب في السيرة النبوية، لعبد الله الطارقي، مطبوع ضمن أوراق عمل المؤتمر الدولي الأول للباحثين في السيرة النبوية، تنظيم مؤسسة مبدع، فاس، ٢٠١٢م.

فئة عريضة منهم، تميزوا بالفطرة السليمة والعقل الراجح والرأي السديد، وبالتالي يكون معيقًا لنفوسهم عن التعبير عن قناعاتها والسلوك على نهجها.

٢ ـ كل دعوة ترفع شعار الإصلاح، ولا تحظى بتجاوب الشباب ودعمهم، فلا مستقبل لها:

لذلك كان معظم أتباع الدعوات هم الشباب في كل زمان ومكان، وهذه حقيقة مستمرة على امتداد تاريخ الإسلام وحاضره، ويلزم استثمارها تربويًّا لربط شباب اليوم بشباب السلف الصالح؛ لتعزيز مجال القدوة، وإحكام ربط الشاب إليها، عندما تنعدم أو تقل القدوات السامقة في واقعه الراهن، وعندما تغيب عن بعض مجالات التأسي والتمثل السلوكي.

٣ ـ تحرير الشباب، خصوصًا بدايات البلوغ، من ضغوطات البيئة الاجتماعية المحيطة:

وما يسود فيها من عادات مذمومة، وأفكار عليلة، وتوجهات جاهلية عوجاء، وذلك بتشجيعه لممارسة النقد

البناء، وتعويده استخدام ميزان الشرع في تقويم الظواهر والاتجاهات الاعتقادية، والحكم لها أو عليها، دون إفراط أو تفريط.

٤ ـ تربية النشء على الشجاعة والجرأة في قول الحق:

والانخراط في سلكه، وضرورة انتباه الوالدين والمربين إلى التزام الاحتياط من استخدام أسلوب الترهيب والتخويف في غير محله؛ مما يولد في النفس عوائق تعوقها عن الصدع بما تؤمن به من الحق والانحياز إليه والتضحية من أجله بالنفس والنفيس.

٥ ـ توظيف مقصد ابتلاء الإنسان بالصراع بين الحق والباطل:

فالصراع بين الإيمان والكفر سُنَّة كونية، وبيِّنٌ ومهم توظيف هذا في مدى نجاح الشباب في تحمل هذا الابتلاء، والخروج منه منتصرًا على مثبطات النفس، وركونها لما يحفظ لها الراحة والسلامة، على حساب معرفة الحق والاندماج في ركابه، والانضمام إلى دعاته.

٦ ـ ضرورة استثمار انتماء الفتيان لدعوات الرسل في تحفيز الشباب:

وذلك بقصد الإقبال على الدين، وإمضاء مرحلة الشباب في رحابه، دون تأخير إلى سن الكهولة والشيخوخة، كما تسعى في ذلك بعض التصورات.

٧ ـ اهتبال المربين للشحنة الروحية التي تنطلق عند بلوغ الشباب:

من المهم أن يعمل الوالدان والمربون على اهتبال تلك الشحنة الروحية نحو التدين، والتي تقوم في نفوس الشباب أول زمان بلوغهم. جاء في كتاب «دعه فإنه مراهق» ـ وعن تهيؤ البالغ للتو للصلاح، وأنّ نفسه تتهيج لاختيار الهدى والصلاح بما يشبه الشحنة الروحية ـ يقول: «الشحنة الروحية التي تتفجر في مرحلة البلوغ تأخذ صورة مشاعر دينية صافية رائقة شفافة... وهنا الفرصة الذهبية للمربي الحكيم أن ينتهز فرصة انطلاق هذه الشحنة الروحية الهائلة ليعيد تشكيل النفس التي بين يديه على وضعها الصحيح؛ إن كان ذلك قد

فاته في الطفولة لسبب من الأسباب»[1].

اقتراحات إعمال المقصد:

يمكن أن يقترح لإعمال هذه المقاصد الإجراءات الآتية:

- **في المجال الأسري والاجتماعي:**
  - مبادرة الأسرة إلى استثمار اتجاه أولادها من الذكور والإناث للتدين واعتناق الحق عند بلوغهم، من خلال مساعدتهم على ذلك وتحفيزهم نحوه.
- **في مجال المناهج الدراسية:**
  - دمج نصوص وقصص وأخبار تفيد أن أول زمن

(١) انظر: كتاب «دعه فإنه مراهق»، لعبد الله الطارقي (ص١٧٨)، نقلًا عن منهج التربية الإسلامية لمحمد قطب (ص٤٦٢ ـ ٤٦٤). وقد حاول مؤلف كتاب «دعه فإنه مراهق» اختبار ذلك مع طلابه في المرحلة الثانوية بمدارس الأمجاد بجدة، حيث وزع عليهم استبيانًا احتوى على سؤال صريح (هل حدثتك نفسك بالاستقامة والصلاح يومًا من الأيام؟) وكان عددهم يربو على ٦٠ طالبًا، أجابوا جميعهم بـ(نعم).

البلوغ هو زمن اختيار طريق الحق والتدين الصحيح.

- **في مجال النشاط التربوي:**

○ استثمار المربين لأول زمان بلوغ الشباب باقتناص تلك المشاعر واللحظات العقلية والعاطفية في اختيار الحق، من خلال العمل على اختيارهم للتدين في الأنشطة الصفية واللاصفية في الرحلات والمخيمات والمسابقات والدورات التدريبية.

- **في المجال الثقافي والإعلامي والتقني:**

○ بث مواد ثقافية ووصلات تلفزيونية تحكي كيف اختار الشباب على مر التاريخ، عند بلوغهم، الطريق الصحيح في دينهم وعبادتهم لله ـ تعالى ـ.

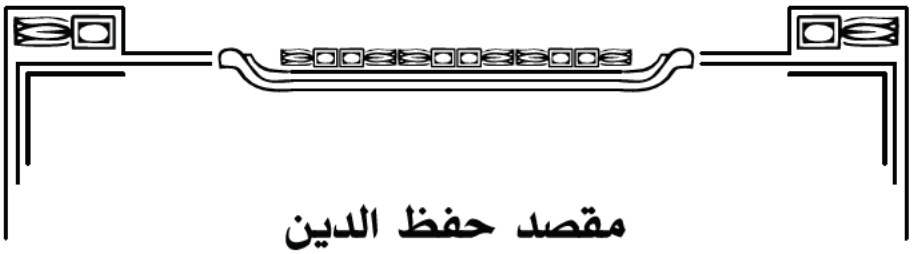

مقصد حفظ الدين

المقصد العام: حفظ الدين.

المقصد الخاص: تعزيز ميل الشباب فطرة إلى مكافحة الضلالات الراسخة في المجتمع، والدفاع عن عقيدة التوحيد والتشبث بها رغم ضغوطات المجتمع.

المقصد الجزئي: تقوية عزيمة الشباب وسرعة استجابته للتوحيد، والتضحية في سبيل إقامته.

النص الأساسي:

يقول ـ تعالى ـ: ﴿قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾﴾ [الأنبياء: ٦٠].

التوصيف العلمي:

يفيد النص بأن إبراهيم عليه السلام لما واجه وثنية قومه لم يكن حينئذٍ قد أوحي إليه، بل كان في ريعان شبابه، ولكن الله ـ تعالى ـ شرح صدره للحق، يقول سيد قطب: «**ويبدو من**

هذا أن إبراهيم عليه السلام كان شابًّا صغير السن، حينما آتاه الله رشده؛ فاستنكر عبادة الأصنام وحطمها هذا التحطيم»[1].

ويقول عبد الله شحاته: «**وهذه الآية تؤيد رأي من ذهب إلى أن الله أعطاه الرشد والحكمة قبل النبوة**»[2]؛ فالناس أخذوا يربطون بين جرأة الفتى إبراهيم على انتقاد ما وجد عليه قومه من عبادة الأصنام، وتوعده بالكيد لها، وحدث تكسيرها، بما يعني أنهم يلصقون به تهمة تكسيرها.

ولقد دأب القرآن الكريم على إيراد مواقف الشباب الشجاعة من معبودات أقوامهم، ورفض القبول بها أو تركهم وشأنهم، بل إنهم جندوا أنفسهم لاستنكارها، وكشف زيفها وضلال من يدين لها بالتبجيل والتوقير، من ذلك قوله ـ

(١) في ظلال القرآن (٤/٢٣٨٦)، لسيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: ١٣٨٥هـ)، الناشر: دار الشروق، بيروت، القاهرة، ط١٧، ١٤١٢هـ.

(٢) تفسير القرآن الكريم، عبد الله محمود شحاتة، (ت١٤٢٤هـ)، الطبعة الثانية، دار غريب بالقاهرة، ٢٠٠٠م.

تعالى ـ في هذه الآيات البينات: ﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾ [الكهف: ١٠]، ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾﴾ [الكهف: ١٣] فهؤلاء، فتية «آمنوا بوجود الله ووحدانيته، وقدرته وحكمته، وتبرؤوا من الشرك والمشركين، واعتزلوا قومهم بعدما تحدوهم بالحق المبين، مما أعطوا به الدليل على منتهى الثبات وقوة الشخصية، ونهاية الإخلاص والصبر والتضحية؛ فضربوا بذلك المثل الأعلى للفتوة، واستحقوا الذكر العاطر في آيات الله المتلوة»[1].

وهذه الاتجاهات الشبابية الناصرة للدين الحق، تجد تفسيرها في سلامة فطرهم التواقة لمعرفة الله ـ تعالى ـ وعبادته بصدق وإخلاص، وأن تأثيرات البيئة المنحرفة التي

(١) التيسير في أحاديث التفسير (٤/ ١٣٥ ـ ١٣٦)، لمحمد المكي الناصري، (المتوفى: ١٤١٤هـ)، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

تطرق إحساسهم، لم تكن لتقوى على إسكات نداء الفطرة في أعماقهم؛ فيكونون بحكم سنِّهم أقرب الفئات لاتباع الرسالات السماوية، ومناهضة الظلم والضلال والطغيان، ومقاومة العادات والتقاليد الخرافية. وهو أمر ينسجم مع ما أسلفناه من تحرك جذوة التدين عند الشباب عند أول مراحل بلوغهم.

التوصيف التربوي:

من مهام المكلفين بالتربية، من آباء ومعلمين وموجهين للشباب، أن يتعرفوا على خصوصياتهم النفسية ومميزاتهم الذاتية، وأن يحسنوا استثمارها في تنوير عقولهم، وتهذيب أخلاقهم، وتعبئة نفوسهم في طريق الصلاح والإصلاح. وفيما يأتي تفصيل لذلك:

١ ـ التعرف على نفسية الشباب حديث العهد بالبلوغ، وميولاتهم الفطرية للتدين، وحاجاتهم المرحلية وقدراتهم الإدراكية، قصد تكييف الخطابات الفكرية والتربوية معها،

واعتبارها في بناء العمليات التعليمية الموجهة إليهم.

٢ ـ اعتماد عمليات التحفيز والتنويه بإمكانيات الشباب البالغ للتو وقدراتهم العقلية، وتقدير أفكارهم وميولاتهم الإيمانية، وعدم الاستهانة بأدوارهم، أو احتقار خبراتهم وتصوراتهم النابعة من فطرتهم السليمة.

٣ ـ توعية الشباب بمسؤولياتهم في إصلاح أحوال الأمة، واستئناف نهضتها الإسلامية الشاملة، والتعويل على مشاركتهم الحيوية في مكافحة الاتجاهات الضالة، والأفكار المنحرفة، والاعتقادات الزائغة عن سواء الفطرة ونهج القرآن والسُّنَّة.

اقتراحات إعمال المقصد:

يمكن أن يقترح لإعمال هذه المقاصد الإجراءات الآتية:

- **في المجال الأسري والاجتماعي:**
  - ترشيد الأسرة اتجاهات الشباب نحو التدين، التي

تنبثق عند أوائل سني بلوغهم، لتصرف في الحق باعتدال.

- **في مجال المناهج الدراسية:**
  - دمج نصوص تحفيز الشباب لاستنزال الهدى من الله ـ تعالى ـ

- **في مجال النشاط التربوي:**
  - عرض قصص الشباب حديثي العهد بالبلوغ الواردة في القرآن الكريم.

- **في المجال الثقافي والإعلامي والتقني:**
  - تقديم مواد مرئية عن تدين الشباب ومحاسن استثمار اتجاهاتهم فيه.

مقصد حفظ الدين

المقصد العام: مقصد حفظ الدين.

المقصد الخاص: تعزيز ميل الشباب فطرة إلى مكافحة الضلالات الراسخة في المجتمع والدفاع عن عقيدة التوحيد، والتشبث بها رغم ضغوطات المجتمع.

المقصد الجزئي: إكساب الشباب الجرأة على الانخراط في التدافع بين الحق والباطل والإيمان والكفر.

النص الأساسي:

يقول ـ تعالى ـ: ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [هود: ٢٧].

التوصيف العلمي:

الأراذل: المراد بهم هنا: الفقراء والضعفاء والسَّفَلة،

وهو جمع: أَرْذَل، بمعنى: السافل الذي لا خَلَاق له، ولا يبالي بما يفعل.

بادي الرأي: أي: ظاهر الرأي، الذي لا عمق عنده في التفكير والتصور للأشياء، **إشارة إلى الشباب وضعفة الناس**.

تعرضت هذه الآية لموقف الأشراف وكبراء القوم الكافرين، البارز من قولهم لنوح عليه السلام بأنه ليس سوى آدمي كغيره من الناس، وأنه لم يتبع دعوته إلا السفلة من ضعيفي الفكر والرأي؛ ويقصدون **صغار السن من الشباب**، الذين لا يتعمقون في الفهم والإدراك للأمور، وليست لهم مزايا يمتازون بها عن غيرهم.

كما يبيِّن الله ـ تعالى ـ لنا ما يستند إليه الكفار بالوحي، من أدلة واهية، لا تبحث في جوهر المضمون، وتنقب فيه على ما يؤيد موقفهم، ويتعارض مع العقل الصريح، وإنما يلتجئون إلى أمور جانبية تشهد باختلال

نهجهم وسقم فكرهم. وانطلقوا يرمون الأتباع بما ينتقص من قدرهم وسلامة تفكيرهم؛ فاختاروا في ذلك أمرين: «**أحدهما**: أن المتبعين له أراذل القوم ليسوا قدوة ولا أسوة، **والثاني**: أنهم مع ذلك لم يتَروَّوا في اتّباعه، ولا أمعنوا الفكر في صحة ما جاء به، وإنما بادروا إلى ذلك من غير فكرة ولا رويّة»[1].

كما حاولوا أن يشترطوا توفر خصائص في نبي الله نفسه، لا علاقة لها بمهمة التبليغ الموكولة إليه إن لم تتعارض معها تمامًا، «فقال رؤساء الكفر من قومه: إنك لست بمَلَك ولكنك بشر؛ فكيف أُوحي إليك مِن دوننا؟ وما نراك اتبعك إلا الذين هم أسافلنا، وإنما اتبعوك من غير تفكر ولا رويَّة، وما نرى لكم علينا من فضل في رزق ولا

(١) صفوة التفاسير (٢/ ١١)، لمحمد علي الصابوني، الناشر: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

مال لمَّا دخلتم في دينكم هذا، بل نعتقد أنكم كاذبون فيما تدَّعون»[1].

فكلامهم يستقي حججه من معهودهم الذي نشأوا عليه، وتقاليدهم التي دأبوا على اعتبارها والاحتكام إلى مقتضياتها الجانحة عن الصواب؛ ومن ذلك نسبة قصور الفكر واختلال الإدراك لدى طائفة الشباب والأطفال المقاربين للبلوغ، والذين يستجيبون لفطرهم السليمة، التي تعرف الحق وتهفو إليه، وعلى هذا الأساس يقبل إيمان صغار السن، ويؤمرون بتكاليف الشرع بمجرد دخولهم طور البلوغ، ويعتبر إيمانهم كاملًا غير منقوص.

وجرت نصوص الشريعة على الثقة في البالغ للتو، في الوقت الذي لم يثق فيه وفي اختياره المعاندون لرسالات

(١) التفسير الميسر (١/ ٢٢٤)، نخبة من أساتذة التفسير، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، السعودية، الطبعة الثانية، مزيدة ومنقحة، ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م.

الأنبياء والمرسلين، ولهذا يعيبون عليهم أن اتبعهم أراذل الناس وأسوأهم رأيًا، والحق أن الشباب البالغ للتو محل ثقة واعتماد؛ لأننا رأينا الوحي وثق به فكلفه، والتكليف ثقة في القدرة على الوفاء، وتعالى الله ـ تعالى ـ أن يكلف من لا يقدر على الوفاء.

ولهذا جاء في «دعه فإنه مراهق»: «فالبالغ ذو نفس قادرة على العطاء والتضحية، نفسٍ صالحة لتكون عماد الحضارات، كما أثبت التاريخ؛ وبذلك استحقت الثقة في قدراتها النفسية وغيرها.

وهنا يأتي دور المربين في الثقة بهذه النفس البالغة للتو؛ فتوكل إليها المهام العظام؛ لأنها ذات همة عالية قادرة:

- وقد وثق الله ﷻ بهذا البالغ؛ فكلفه شرائع الإسلام بالجملة.
- ووثق بقدرته على تحمل الأمانة؛ فها هو يكلّف بالصيام.

• ووثق بقوته البدنية؛ فكلف الحج وسائر العبادات البدنية»[1].

التوصيف التربوي:

في ضوء تحليل النص يمكن بلورة المقاصد التربوية الآتية:

١ ـ إظهار الثقة في الشباب حديثي العهد بالبلوغ، والثناء على اختياراتهم في الحق؛ إذ تكليف الوحي لهم بشرائع الإسلام بمجرد بلوغهم علامة على الثقة فيهم.

٢ ـ تعريف الناس عامة، والشباب منهم خاصة، بطبيعة التدافع الحاصل بين الرسول وأتباعه وجاحدي رسالته من قومه، وأن هذا التدافع ضروري للتمييز بين الحق والباطل، وتقوية حجة الوحي، بالكشف عما يدحض انتقادات المعترضين ويبيِّن تهافتها.

(١) «دعه فإنه مراهق»، لعبد الله الطارقي (ص٢٣٨).

٣ ـ تربية الشباب على الاحتكام في بناء مواقفهم على دراسة دعائم الفكرة والاعتراضات الحاصلة عليها، ثم توظيف ما لها وما عليها لتبين صحتها من بطلانها، وقوتها من ضعفها.

٤ ـ تمكين الشباب من تعلم معايير معرفة الحق النابعة من جوهره، وليست الخارجة عنه والغريبة عن طبيعته.

٥ ـ تربية الشباب على تقويم الناس وتقدير مكانتهم، على أساس ما يؤمنون به من مبادئ وقيم الحق والرشد، وليس على أساس أوصاف شكلية وأحوال عارضة.

اقتراحات إعمال المقصد:

يمكن أن يقترح لإعمال هذه المقاصد الإجراءات الآتية:

- **في المجال الأسري والاجتماعي:**
  - عدم استصغار عقول الشباب والفتيات أول زمان بلوغهم واختياراتهم، بحجة ضعف العقل.

- **في مجال المناهج الدراسية:**

○ دمج النصوص التي تفيد الثقة في الشباب، ولو استصغرهم الناس أو قدحوا في اختياراتهم للحق.

- **في مجال النشاط التربوي:**

○ إظهار الثقة في آراء الشباب واختياراتهم حين نكلفهم بالمهام في الأنشطة الطلابية والرحلات والمسابقات المتنوعة.

- **في المجال الثقافي والإعلامي والتقني:**

○ بث مواد إعلامية لإرساء فكرة الثقة في الشباب، فقد وثق الله ـ تعالى ـ فيهم وكلفهم، ولا يكلف الله ـ تعالى ـ من لا يستحق الثقة فيه.

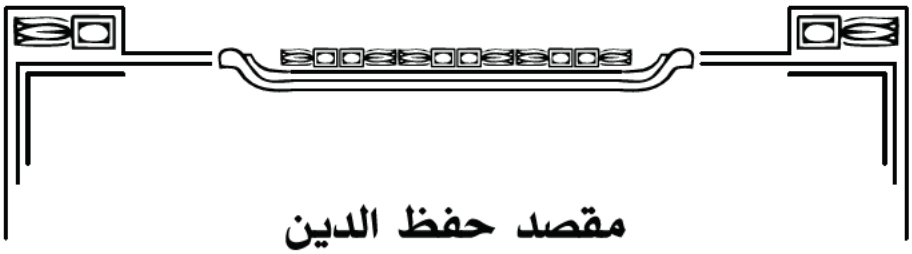

مقصد حفظ الدين

المقصد العام: حفظ الدين.

المقصد الخاص: التربية على قيمة الوفاء بالعهود والالتزامات.

المقصد الجزئي: التعرف على قيمة الوفاء بعهد البيعة لله وللرسول ﷺ.

النص الأساسي:

عن أبي إدريس عائذ الله؛ أن عبادة بن الصامت رضي الله عنه، من الذين شهدوا بدرًا مع رسول الله ﷺ، ومن أصحابه ليلة العقبة، أخبره: أن رسول الله ﷺ قال وحوله عصابة من أصحابه: «**تعالوا بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئًا، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوني في معروف؛ فمن وفَّى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئًا فعوقب**

به في الدنيا فهو له كفارة، ومن أصاب من ذلك شيئًا فستره الله فأمره إلى الله، إن شاء عاقبه، وإن شاء عفا عنه».

قال: فبايعته على ذلك[1].

التوصيف العلمي:

هؤلاء الشباب الذين حضروا بيعة العقبة، وبايعوا رسول الله ﷺ كان عامَّتهم في مقتبل الشباب وبداية سن البلوغ، وأضرب مثلًا بواحد منهم، هو جابر بن عبد الله بن حرام الأنصاري رضي الله عنهما، حضرها وهو ابن خمس عشرة سنة أو ست عشرة سنة، ذلك أن الذهبي قال: إنه شهد بدرًا وعمره ثمان عشرة سنة[2].

لقد أمر رسول الله ﷺ الصحابة، وضمنهم ثلة خيرة من الشباب، بمبايعته على عدم الشرك والسرقة والزنا، وعدم قتل الأولاد، وترك البهتان والمعاصي، والطاعة في معروف،

(١) رواه البخاري (٥/ ٥٥).

(٢) سير أعلام النبلاء، للذهبي (٣/ ١٩١).

وأن من وفَّى فأجره على الله، ومن عوقب بشيء في الدنيا فهو كفارة له، ومن ستره الله فأمره إلى الله، يعفو عنه أو يعاقبه.

ويعتبر «الوفاء بالعهود قيمة إنسانيّة وأخلاقيّة عظمى؛ لأنّه يرسي دعائم الثّقة في الأفراد، ويؤكّد أواصر التّعاون في المجتمع. يقول الرّاغب الأصفهانيّ في ذلك: الوفاء: أخو الصّدق والعدل، والغدر: أخو الكذب والجور، ذلك أنّ الوفاء: صدق اللّسان والفعل معًا، والغدر كذب بهما؛ لأنّ فيه مع الكذب نقض للعهد»[1].

فالدعوة الإسلامية التي أسس لها رسول الله ﷺ في المدينة قامت على عقد البيعة بينه وبين المهاجرين والأنصار، حيث التزم من بايعه من الرجال والنساء، نيابة

(١) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (٨/ ٣٦ ـ ٣٩)، لعدد من المختصين، بإشراف: الشيخ صالح بن عبد الله بن حميد، إمام وخطيب الحرم المكي، الناشر: دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة.

عن باقي المسلمين، باجتناب بعض المخالفات الشرعية، التي تعد ممثلة لباقي الآثام والمعاصي، التي تهدم الدين وتأتي على أصوله الاعتقادية والتعبدية والأخلاقية، ثم بيَّن أن من وفَّى فله الجزاء الأوفى عند الله، ومن وقع في شيء من المحظورات؛ فطبقت عليه عقوبة الشرع؛ فهي تكفير لذنبه وتطهير لنفسه، ومن ستره الله فأمره موكول إليه إن شاء غفر له وإن شاء عذبه.

وهذه البيعة تؤكد قيام النظام الإسلامي على التعاقد، في إطار مقصد عام وشامل، هو حفظ الدين وإقامة نظامه في مختلف مجالات الحياة، الدينية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية، وغيرها من المجالات.

ويمكن تبين مكانة الوفاء في الإسلام من خلال التوضيحات الآتية:

١ ـ إن قيمة أي عقد أو عهد إنما ترجع إلى مدى التزام المتعاقدين والمتعاهدين به، وصدقهما في تنفيذ

مقتضياته، وهذه الميزة متوفرة لهذا العقد من حيث إن المراقب لحقيقة الوفاء به هو الله ـ تعالى ـ، الذي لا تخفى عليه من خلقه خافية؛ فهو المجازي لمن وفَّى، والمعاقب لمن أخل وقصر.

٢ ـ تتحدد قيمة العقد تبعا لقيمة المتعاقدين عليه، وهم رسول الله ﷺ سيد الخلق، وحبيب الرحمٰن، من جهة، وصحابته الأطهار من جهة أخرى، كما أن مبايعة رسول الله في حقيقتها مبايعة لله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾﴾ [الفتح: ١٠].

٣ ـ يعتبر الوفاء عملًا قلبيًّا مضمرًا، لكن تجليه أعمال ظاهرية، وتجسده في الواقع وتخبر عنه. وقد نصت البيعة على ثلة من المحظورات الواجب تركها، وذلك على سبيل المثال لا الحصر، وهي: الشرك بالله، والسرقة، والزنا، وقتل النفس..

التوصيف التربوي:

يمكن الاستفادة من هذا النص في ضوء المقصد وفق ما يأتي:

١ ـ الشباب البالغ للتو في مقتبل التكليف وهو يدخل بهذا في عقد مع الله ـ تعالى ـ ورسوله ﷺ، لذا كان استثمار حادثة العقبة وكل بيعة مع رسول الله ﷺ أن يستبصر الشاب عند بلوغه أنه دخل لمرحلة تعاقد مع الله ـ تعالى ـ، وعليه الوفاء وجوبًا.

٢ ـ التعريف بمكانة الوفاء بالوعد والعهد والعقود في الإسلام باعتباره قيمة عامة، يعين اكتسابها على اكتساب قيم متفرعة عن الإيمان بالله، مثل: الأمانة والصدق والعدل والإخلاص والالتزام والنصح والإحسان، وترك ما يتنافى معها من الرذائل والآثام والكبائر، مثل: الخيانة والغش والكذب والخداع والتدليس والتزوير ونقض العهود وإخلاف الوعود..

٣ ـ توظيف نصوص الشرع كتابًا وسُنَّة، وكذا أقوال العلماء وفوائد الحكماء، الداعية إلى التزام الوفاء وترك الخذلان، ونكث العهود، وإخلاف الوعود. وهو من أهم ما يحتاج الشباب أن يتبصر به في بداية عهدهم مع الله ـ تعالى ـ.

٤ ـ اعتماد نماذج قدوة سامية من سلفنا الصالح، تمثلت خلق الوفاء في أجلى نماذجه، وقدمت صورًا رائعة له؛ وذلك تيسيرًا لحفز الشباب على اتخاذها نماذج للتأسي والاقتداء، وحشد الهمم للتنافس مع القامات العالية، في الأخلاق الحميدة، والقيم الإسلامية الرفيعة. وحادثة العقبة وما وليها من بيعات مع رسول الله ﷺ كانت خير شاهد على الالتزام من الشباب بالعقد والعهد الذي أبرموه مع الله ـ تعالى ـ.

وبالمقابل، يمكن التطرق لما يحصل في سلوك الناس، وفي جميع شؤونهم العامة والخاصة، من اعوجاج واختلال وفساد، نتيجة محتمة لقلة الوفاء وندرة المتخلقين به.

اقتراحات إعمال المقصد:

يمكن أن يقترح لإعمال هذه المقاصد الإجراءات الآتية:

- **في المجال الأسري والاجتماعي:**
  - تحفيز الأسر للشباب للتحلي بالوفاء مع الله أولًا في عهد التدين والتكليف الذي لزمهم ببلوغهم.
- **في مجال المناهج الدراسية:**
  - دمج قصص مبايعة الشباب لرسول الله ﷺ ضمن نصوص الأخلاق والقيم في مناهج التعليم.
- **في مجال النشاط التربوي:**
  - تدريب الشباب والفتيات على الوفاء من خلال الأنشطة الصفية واللاصفية.
- **في المجال الثقافي والإعلامي والتقني:**
  - عرض مواد مرئية عن آثار الوفاء وقصصه، وآثار الخيانة وقصصها.

مقصد تزكية النفس

مقصد تزكية النفس

المقصد العام: تزكية النفس.

المقصد الخاص: حفز همم الشباب ورفع أقدارهم.

المقصد الجزئي: بيان أثر استشارة الشباب في درء احتقار أنفسهم.

النص الأساسي:

عن يوسف بن الماجشون قال لنا ابن شهاب، أنا وابن أخي وابن عم لي، ونحن غلمان أحداث نسأله عن الحديث: «لا تحقروا أنفسكم لحداثة أسنانكم؛ فإن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا نزل به الأمر المعضل دعا الفتيان فاستشارهم، يبتغي حدة عقولهم».

التوصيف العلمي:

سبقت الإشارة ـ مرارًا ـ إلى أن الأصل في هذه

الألفاظ: «غلمان أحداث» و«شاب حديث السن» و«حدثاء الأسنان»، ونحو هذه الألفاظ؛ تطلق على الشباب أول زمان دخوله في الشباب، وهو حديث العهد بالبلوغ[1].

فيوسف بن الماجشون يعلِّي من همم الشباب؛ فينصحهم ألا يحقروا أنفسهم لصغرهم؛ لأن عمر بن الخطاب ﷺ كان يستشير الفتيان في المعضلات الكبار؛ استفادة من حدة عقولهم.

فهذا النص يوصي الشباب والصغار ـ بسُنّة عُمَرية راشدة ـ بعدم اعتبار صغر سن الشباب البالغ منقصة ومعرة، تفضي بأحداث السن إلى احتقار أنفسهم، وانتقاص قدراتها وإمكاناتها وعطاءاتها في الحياة، ويقدم حدثًا بارزًا يفند هذا الاعتقاد، ويؤكد ثقة عمر بن الخطاب ﷺ، المعروف

(١) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، للقسطلاني (١٠/ ١٧١)، مشارق الأنوار على صحاح الآثار، للقاضي عياض اليحصبي (١/ ١٨٣)، تاج العروس، للزبيدي (٥/ ٢٠٨).

بنباهته وحزمه، بعقول الشباب، واستشارته إياهم في حل بعض المعضلات، التي يسند التفكير فيها عادة لأهل الكفاءة العلمية، والقدرة الفكرية المعتبرة؛ فهذا الموقف من سيدنا عمر الفاروق شهادة اعتراف ثمينة، بما يمتاز به الشباب من كفاءات عقلية، تضيق معها الفروق الموجودة بين الفتيان والكهول.

ويمكن استجلاء تقدير الإسلام للصغار والفتيان من خلال التوضيحات الآتية:

توفي رسول الله ﷺ وعمر عبد الله بن عباس ١٣ سنة (مراهق)، وخلافة عمر بن الخطاب كانت سنة ١٣ للهجرة، ومعنى ذلك: أن سنَّ ابن عباس في خلافة عمر رضي الله عنه هو مقتبل البلوغ ١٦ سنة ونحوها، وكان عمر رضي الله عنه يدخل الشاب حديث العهد بالبلوغ مع الأشياخ، من أدلته ما روى البخاري في «صحيحه» عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: «كانَ عمرُ يُدْخِلُنِي معَ أشْيَاخِ بدرٍ؛ فكأَنَّ بعضَهُمْ وَجَدَ في

نفْسِهِ؛ فقالَ: لِمَ تُدْخِلُ هذا معنَا ولنَا أبناءٌ مثْلُهُ؟ فقالَ عمَرُ: إنَّهُ منْ حيثُ علمتُمْ. فدَعاهُ ذاتَ يومٍ فأدْخَلَه معهم، فما رُئِيتُ أنَّهُ دعاني يومَئِذٍ إلا ليُرِيَهُم، قالَ: ما تقولونَ في قولِ اللهِ ـ تعَالى ـ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١﴾ [النصر: ١].

فقالَ بعْضُهُم: أمرنا نحمدَ اللهَ ونستَغفِرَهُ إذا نصرَنَا وفتحَ علينَا، وسكَتَ بعضُهُم فلمْ يَقُلْ شيئًا. فقالَ لي: أكَذَاكَ تقولُ يا ابنَ عباسٍ؟ فقلْتُ: لا. قالَ: فمَا تقولُ؟ قلتُ: هوَ أجلُ رسولِ اللهِ ﷺ أعْلَمَهُ لهُ، قالَ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١﴾ [النصر: ١].

وذلِكَ علامةُ أجلِكَ. ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ۝٣﴾ [النصر: ٣].

فقالَ عمرُ: ما أعْلَمُ منهَا إلا مَا تقولُ»[1].

(١) صحيح البخاري، الحديث (٤٩٧٠).

ولقد حذا الصحابة حذو رسول الله ﷺ في حرصه على رفع همم الشباب، وكان أبرزهم في ذلك عمر رضي الله عنه، الذي يستشيرهم في الأمور العظام، ويستفيد من أفكارهم ونظراتهم الراجحة.

ويحتاج المسلم في تزكية نفسه إلى اتهامها بالتقصير؛ لحملها على مضاعفة الاجتهاد في الطاعات، وعدم الركون إلى حسن الظن بالنفس، والعمى عن إبصار عيوبها الجلية والدقيقة، دون أن يسقطه كل ذلك في احتقار النفس، والنزوع إلى احتقار النفس حالة غير سوية، أحيانًا يقع فيها بعض الشباب لتضافر عوامل معينة، منها:

١ ـ سوء التنشئة الأسرية:

وذلك عندما يلاحظ الوالدان والمربون خللًا في تجاوب الطفل معهم، وحسن التفاعل مع تعاملهم له؛ فيواجهونه بالتوبيخ والتنقيص من شأنه؛ كأن يقولوا له ـ مثلًا ـ: «أنت لا تستطيع فعل شيء حسن» أو: «واضح أنك ستبقى

دائمًا فاشلًا»، ويترسخ في نفسه الشعور بالنقص كلما توالت عليه مثل هذه الأحكام، وبعبارات متشابهة لفترة طويلة.

كما قد ينشأ ذلك في الشاب عندما يفتقد الحب والتقدير اللازمين من الوالدين والإخوة والأقارب، أو عندما يفضل عليه أخوه أو أخته؛ فيكرر على مسمعه ما يفيد أنه أدنى من إخوانه أو زملائه في المدرسة، أو إذا خص إخوته أو أحدهم بهدية ثمينة من والديه دونه.

فهذه المعاملات كلها خاطئة في ميزان الشرع، كما في ميزان التربية، وحديث النعمان بن بشير ﷺ يندرج في هذا السياق، حيث قال: إن أباه أتى به رسول الله؛ فقال: إني نحلت ابني هذا غلامًا كان لي. فقال رسول الله: «**أكل ولدك نحلته مثل هذا؟**» فقال: لا. فقال رسول الله: «**فأرجعه**»[1]. قال أبو عيسى الترمذي ـ رحمه الله تعالى ـ: «والعمل على هذا عند بعض أهل العلم، يستحبون التسوية

(١) صحيح مسلم (٣/ ١٢٤١).

بين الولد، حتى قال بعضهم: يسوي بين ولده حتى في القبلة، وقال بعضهم: يسوي بين ولده في النحل والعطية؛ يعني: الذكر والأنثى سواء، وهو قول سفيان الثوري. وقال بعضهم: التسوية بين الولد أن يعطى الذكر مثل حظ الأنثيين، مثل قسمة الميراث، وهو قول أحمد، وإسحاق»[1].

فالمطلوب منع كل ما يخلق الإحساس بالانحياز لولد وتفضيله على إخوانه.

٢ ـ عدم تقبل حال الذات الخَلْقِية للشاب:

وذلك مثل: القصر الشديد، أو دمامة الوجه، أو ضعف البنية، أو السمنة المفرطة، أو أكثر من ذلك أن يكون من ذوي الاحتياجات الخاصة. أو أن يشعر بنقص معين عندما يقارن نفسه مع زملائه في المدرسة؛ فيملك ذلك عليه إحساسه، وينتهي به إلى ازدراء نفسه وندب حظه؛ فيراها

(١) سنن الترمذي (٣/ ٤٢).

عاجزة أن ترقى إلى مستوى الآخرين أو الاقتراب منهم؛ فيقبل بحالة الدون هذه وكأنها قدر محتوم، ويغزو قلبه اليأس من قدرته على إحداث أي تغيير في نفسه وأوضاعه، قد ينتشله من وهدة الاحتقار، الذي يغدو مع الأيام حالة نفسية مرضية مزمنة.

التوصيف التربوي:

١ ـ عدم ترك الشباب يحتقر نفسه وقدراته:

إن احتقار النفس، الذي تتعدد أسبابه لدى الشباب، غير مستساغ في التربية الإسلامية، سواء كان لصغر السن، أو غيره من الاعتبارات؛ وذلك لأن المسلم خلق مكرمًا بآدميته، ثم تعزز تكريمه بانتسابه للإسلام؛ فأي نقص كان عليه حاله، في الجسم والوضع المالي والاجتماعي، لا يمكنه أن يأتي على مكانته التي أنزله فيها الإسلام، بابتغاء مرضاة الله العلي العظيم، والسعي لنيلها باتباع نهج الهداية والتقوى ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

فالمسلمون عامة، والشباب خاصة، مدعوون لنبذ احتقار النفس، واحتقار عملها الصالح مهما بدا بسيطًا؛ فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يحقرن أحدكم شيئًا من المعروف، وإن لم يجد فليلق أخاه بوجه طلق، وإن اشتريت لحمًا أو طبخت قدرًا فأكثر مرقته، واغرف لجارك منه**»(١).

فمما يشعر النفس بأن لها وزنًا وقيمة عند صاحب الجاه والشأن ذي الجلال والإكرام، أن توفق لطاعته وملازمة عبادته، وحينئذٍ يعلو قدرها عند الله، وفي عين نفسها.

٢ ـ الوقوع في الخطأ لا يستدعي احتقار الذات:

وحتى عندما تعصي الله ـ تعالى ـ؛ فإن الالتجاء للتوبة إليه من قريب، كفيل بأن يجعل النفس تسترد مكانتها السابقة، بل ويرفعها إلى ما هو أعلى منها وأسمى؛ فرب معصية ولدت ذلًّا وانكسارًا، خير من طاعة ولدت عزًّا واستكبارًا.

---

(١) سنن الترمذي (٤/ ٢٧٤)، وقال: «هذا حديث حسن صحيح».

وإذا تذللت النفس لخالقها؛ استشعرت رحمته ومغفرته، والسرور بالعودة إليه منيبة طائعة.

وتقوم التربية الإسلامية على مراقبة النفس ومحاسبتها؛ لذلك أعلى الله من شأن النفس اللوامة فأقسم بها في قوله ـ تعالى ـ: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢﴾ [القيامة: ١ ـ ٢]؛ فاللوم في الأصل عمل محمود؛ لأنه يكرس مسؤولية النفس عن اقتراف الأعمال السيئة، والتقاعس في أداء الأعمال الحسنة، ومن ثم فإن استشعار النفس لمسؤوليتها عن أحوالها وأعمالها، يُعَدُّ من أسمى أحوالها المطلوبة تربويًّا؛ لأنه يدفع دومًا في اتجاه تصحيح سيرها وسيرتها، بالزيادة في الطاعات.

واللوم لا يعني احتقار الذات، وإنما تحفيزها للاستدراك والإحسان فيما يستقبل من زمان.

إن احتقار النفس مذموم؛ لأنه يعطل إحساس النفس بمسؤوليتها عن أفعالها الصالحة والفاسدة، ويفقدها تمامًا القدرة على العمل المتعين في حقها.

كما أن الاعتداد بالنفس، واعتقاد أن الصواب دائمًا حليفها، عمل غير سديد، قال بعض الحكماء: «من كمال عقلك استظهارك على عقلك». وقال بعض البلغاء: «إذا أشكلت عليك الأمور، وتغير لك الجمهور؛ فارجع إلى رأي العقلاء، وافزع إلى استشارة العلماء، ولا تأنف من الاسترشاد، ولا تستنكف من الاستمداد. فلأن تسأل وتسلم خير لك من أن تستبد وتندم»[1].

وللوقاية من احتقار النفس، ودرء آثاره المعيقة لانطلاقها وتألقها؛ فإن على الوالدين والمربين التركيز في التربية على هذا النحو:

١ ـ على المستوى النظري:

ضرورة بناء قناعة راسخة لدى الشباب، بمسؤولية

(١) أدب الدنيا والدين، لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، الناشر: دار مكتبة الحياة (ص٣٠٣).

الإنسان عن نظرته لنفسه، سواء كانت احتقارًا وإزراء بها، أو كانت إعجابًا بها وغرورًا، وأن قيمة الإنسان في الإسلام إنما تتوقف على مدى ارتباط نفسه بالله ـ تعالى ـ، وممارستها للصلاح والتقوى، التي تعتبر المقياس الوحيد للتفاضل بين الناس في ميزان الإسلام.

٢ ـ على المستوى الإجرائي:

ـ توظيف الآيات والأحاديث والأقوال والوقائع، التي تزيد إحساس الشباب بالمسؤولية والثقة في النفس، وترفع هممهم للتنافس في المكرمات والخيرات.

ـ تدريب الشباب على إبداء رأيهم، والتعبير عن مواقفهم، والاستماع لأفكارهم في الأمور الخاصة بهم، والأمور العامة المتعلقة بمجتمعهم.

ـ توظيف الإعلام، لتوعية الآباء والمربين، بتحري الألفاظ والعبارات المستعملة في مخاطبة الشباب، منعًا لأي إيحاءات أو إشارات، قد تؤدي بالشباب إلى احتقار أنفسهم، والانكفاء إلى الوراء.

ـ تنظيم مسابقات ورصد جوائز تشجيعية، لحفزهم على الابتكار والإبداع، في شتى مجالات المعرفة بين الفتيان والفتيات، في مراحل الطفولة وبداية الشباب بصفة خاصة؛ للدفع بهم في طريق إعداد أنفسم للقيادة والريادة في المستقبل.

اقتراحات إعمال المقصد:

يمكن أن يقترح لإعمال هذه المقاصد الإجراءات الآتية:

- **في المجال الأسري والاجتماعي:**
  - عمل الأسر والمربين على تحفيز الشباب والثناء عليهم؛ حتى لا يحتقروا أنفسهم.
- **في مجال المناهج الدراسية:**
  - دمج النصوص والقصص التي تمدح الشباب وتحفزهم ضمن المناهج الدراسية.

- **في مجال النشاط التربوي:**

○ العمل على ابتكار أساليب تحفز الشباب، وتبني فيه الثقة بنفسه، من خلال الأنشطة الصفية واللاصفية، والمخيمات والرحلات التربوية والمسابقات الطلابية.

- **في المجال الثقافي والإعلامي والتقني:**

○ بث مواد إعلامية تبني الثقة الإيجابية في نفوس الشباب، وتمنعهم من احتقار أنفسهم والتهوين من قدراتهم.

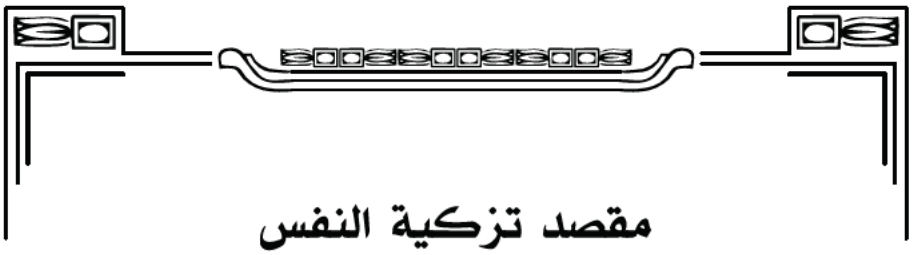

مقصد تزكية النفس

المقصد العام: تزكية النفس.

المقصد الخاص: بيان عظم مسؤولية الإنسان عن إصلاح نفسه وتقويم اعوجاجها في فترة الشباب.

المقصد الجزئي: دعم إقبال الشباب على الإيمان بالله، واستنكار ما يسود المجتمع من معتقدات باطلة.

النصوص الأساسية:

قال ـ تعالى ـ: ﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾ [الكهف: ١٠].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾﴾ [الكهف: ١٣].

التوصيف العلمي:

تطالعنا لفظة (فتية)، وقد سبق أنها لحديث العهد

بالبلوغ، قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: «فذكر الله ـ تعالى ـ أنهم فتية، وهم الشباب؛ وهم أقبل للحق، وأهدى للسبيل من الشيوخ الذين انغمسوا في دين الباطل»[(١)].

قال القرطبي في قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ﴾: «فتية؛ أي: شباب أحداث»[(٢)]، وقال الشوكاني كذلك: «أي: أحداث شباب»[(٣)]. وكرر العبارة صديق حسن خان: «فتية أحداث وشبان»[(٤)].

وقد أورد الطبري أن سبب التجاء هؤلاء الفِتية إلى الكهف أنهم «كانوا مسلمين على دين عيسى، وكان لهم ملك عابد وَثَن، دعاهم إلى عبادة الأصنام؛ فهربوا بدينهم

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، أبو الفداء محمد بن إسماعيل، ١٤٢٠هـ، دار طيبة للنشر، الرياض، السعودية (٣/ ١٢١).

(٢) الجامع لأحكام القرآن الكريم، للإمام القرطبي (١٠/ ٣٦٤).

(٣) فتح القدير، للإمام الشوكاني (٣/ ٣٢٣).

(٤) فتح البيان في مقاصد القرآن، لصديق حسن خان القنوجي البخاري، المكتبة العصرية، ١٤١٢هـ، (٨/ ١٨).

منه؛ خشية أن يفتنهم عن دينهم أو يقتلهم؛ فاستخفَوْا منه في الكهف»[1].

وتتجلى هداية الله ـ تعالى ـ وتوفيقه لهم بعد فرارهم بدينهم، وهم «شبان ليسوا بكثيري العدد؛ فليست لهم أسنان استفادوا بها من التجارب والتعلم ما اهتدوا إليه من الدين والدنيا، ولا كثرة حفظوا بها ممن يؤذيهم أيقاظًا ورقودًا»[2]، إنهم لاذوا بجناب ربهم فأقبلوا عليه ـ سبحانه ـ، يدعونه ويضرعون إليه، بأن يحقق مرادهم في النجاة من عبادة الأوثان؛ فقرروا الفرار مما عليه قومهم من الغي والضلال.

وكلما ضاقت النفس بالكفر أو انحراف ما عن الحق والهدى، وعزمت على رفضه ومفارقة أهله والداعين إليه؛

(١) تفسير الطبري (١٥/١٦٨).

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٢/١٧ ـ ١٨)، للبقاعي أبي الحسن إبراهيم بن عمر بن حسن الرُّباط بن علي، برهان الدين البقاعي، مفسر، مؤرخ، محدّث، أديب، والبقاعي نسبة إلى البقاع في لبنان (ت٨٨٥هـ).

فإن الله ـ تعالى ـ يهيئ لها أسبابًا، تمكنها من الخروج والنجاة من مغبته، ومن ذلك الهجرة بعيدًا عن مكان وجوده، إلى حيث تأمن فتنته وشره. قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾﴾ [النساء: ٩٧].

فالمهاجر إلى الله فرارًا بدينه، يفارق الأهل والمال والبلد، من أجل الحفاظ على دينه، الذي هو أغلى ما يملكه الإنسان، حيث به تتحقق الحياة الكريمة في الدنيا والنعيم الأبدي في الآخرة، كما يبسط الله له من الخيرات والبركات أوسع وأفضل مما تركه لأجله ـ سبحانه ـ: ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾﴾ [النساء: ١٠٠].

التوصيف التربوي:

يمكن تحديد المقاصد التربوية للنص فيما يأتي:

١ ـ تأكيد ميل الشباب عند بلوغه فطرةً إلى الإيمان بالله:

ميل الشباب للإيمان حقيقة وفطرة، تجعله يتحمل المسؤوليات ويحسن النهوض بها، والحرص على معرفة الحق والاستمساك به، والتضحية من أجله.

٢ ـ تحصيل الهداية واستنزالها من الله ـ تعالى ـ يستدعي عملًا واحتمالًا للمشاق:

فكل طالب لاستنزال الهدى لا بد له من بذل الجهد، والاستعداد للتضحية بكل غال ونفيس، والدخول في سلك الصالحين المصلحين، وشفع ذلك كله بالدعاء الخالص إلى الله طلبًا للتوفيق والسداد.

٣ ـ تبين أهمية إطلاع الشباب على سير الأنبياء والصالحين:

إذ بذلك يستبين له كيف أوتوا الرشد، وقاوموا الشرك وعبادة الأصنام في شبابهم، ليكونوا قدوة لهم على طريق الهداية والصلاح، وكيف يؤثرون التضحية بالأوطان، في سبيل الحفاظ على الإيمان.

٤ ـ تربية الشباب على الثقة في الله، وفي قدرته على تذليل كل الصعاب:

وبذلك يبقى الأمل حيًّا، ويجعل إزالة كل العقبات والمعوقات من طريق المؤمنين به أمرًا ممكنًا، وإن الحريصين على ممارسة عبادة الله، واتباع شرعه في شؤونهم الخاصة والعامة، لا بد أن تبقى الثقة في الله سميرهم في كل أمورهم، وتشمل تلك الثقة أن ربهم سيقيهم شر عدوهم، ويحفظهم من كيد الكافرين وبطشهم.

اقتراحات إعمال المقصد:

يمكن أن يقترح لإعمال هذه المقاصد الإجراءات الآتية:

- **في المجال الأسري والاجتماعي:**
  - استثمار الأسر والمربين دخول الشباب والفتيات في مرحلة البلوغ لتحفيزهم نحو التدين، واستثمار اتجاههم إليه.
- **في مجال المناهج الدراسية:**
  - دمج نصوص نجاحات الفتية حديثي البلوغ في تحصيل الهدى والفرار بدينهم.

- **في مجال النشاط التربوي:**

○ ملاحظة المعلمين والمربين لاختيارات الشباب للتدين في الرحلات والأنشطة المتنوعة، لاستثمارها ودعمها؛ حتى لا تخبو جذوتها دون استثمار.

- **في المجال الثقافي والإعلامي والتقني:**

○ تقديم مواد مرئية تعين الشباب على اختيار التدين باعتدال.

○ تقديم الحلول للشباب حين يحيا في بيئة لا تعينه على التدين المعتدل المتزن.

مقصد تزكية النفس

المقصد العام: تزكية النفس.

المقصد الخاص: بيان مكانة العلم بالله وبدينه في تزكية النفس والارتقاء بها في درجات الهداية والصلاح.

المقصد الجزئي: التعريف بوجوب طلب العلم، وتجشم الصعاب وركوب الأخطار لتحصيله على أيدي العلماء الربانيين، وملازمة صحبتهم.

النص الأساسي:

يقول ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾﴾ [الكهف: ٦٠].

التوصيف العلمي:

الفتى هو: الرجل الشاب في أول زمان البلوغ، وجمعه: فتية وفتيان، مثل: صبية وصبيان. وإنما أضيف إلى موسى عليه السلام؛ لأنه كان يلزمه ليتعلم منه العلم، ويخدمه في سفره.

يخبر الله ـ تعالى ـ بأن موسى عليه السلام، وهو موسى بن عمران، الذي اصطفاه الله ليكون واحدًا من أولي العزم من رسله الكرام، كان يحث فتاه على مواصلة السير حتى يبلغا مجمع البحرين أو يسيرا حقبًا؛ أي: زمنًا طويلًا في سبيل الاستزادة من العلم والمعرفة على يد من أخبره الله بأنه يفوقه علمًا.

وكان سبب هذه الرحلة في طلب العلم، كما روي عن أُبي بن كعب عن النبي ﷺ: «**قام موسى النبي خطيبًا في بني إسرائيل؛ فسئل: أي الناس أعلم؟ فقال: أنا أعلم. فعتب الله عليه، إذ لم يرد العلم إليه؛ فأوحى الله إليه: أن عبدًا من عبادي بمجمع البحرين، هو أعلم منك. قال: يا رب، وكيف به؟ فقيل له: احمل حوتًا في مكتل؛ فإذا فقدته فهو ثَمَّ؛ فانطلق وانطلق بفتاه يوشع بن نون..**»[1].

ولهذا «يخبر ـ تعالى ـ عن نبيِّه موسى عليه السلام، وشدة

(١) صحيح البخاري (١/ ٣٥).

رغبته في الخير وطلب العلم، أنه قال لفتاه: ﴿لَآ أَبۡرَحُ حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ﴾ [الكهف: ٦٠]؛ أي: لا أزال مسافرًا، وإن طالت علي الشقة، ولحقتني المشقة، حتى أصل إلى مجمع البحرين، وهو المكان الذي أوحي إليه أنك ستجد فيه عبدًا من عباد الله العالمين، عنده من العلم ما ليس عندك، ﴿أَوۡ أَمۡضِيَ حُقُبٗا ٦٠﴾ [الكهف: ٦٠]؛ أي: مسافة طويلة، المعنى: أن الشوق والرغبة حمل موسى أن قال لفتاه هذه المقالة، وهذا عزم منه جازم؛ فلذلك أمضاه»[1].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سأل موسى عليه السلام ربه؛ فقال: أي رب أي عبادك أحب إليك؟ قال: الذي يذكرني، ولا ينساني. قال: رب فأي عبادك أعلم؟ قال: الذي يبتغي علم الناس إلى علمه عسى أن يصيب كلمة تهديه إلى هدى أو ترده عن ردي. قال: رب فأي عبادك أقضى؟ قال: الذي

(١) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمٰن (ص٤٨١).

يقضي بالحق، ولا يتبع الهوى. قال: ومن ذاك يا رب؟ قال: ذاك الخضر. قال: وأين أطلبه؟ قال: على الساحل عند الصخرة التي ينقلب عندها الحوت. قال: فخرج موسى يطلبه، حتى كان منه ما ذكر الله ـ تعالى ـ فانتهى موسى إليه عند الصخرة؛ فسلَّم كل واحد منهما على صاحبه. فقال له موسى: إني أحب أن تصحبني. قال: إنك لن تطيق صحبتي. قال: بلى. قال: فإن صحبتني، فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا[1].

فيتضح أن القصد من هذه القصة هو إبراز قيمة العلم والسعي في طلبه ممن يملكه ويبتغي به رضا الله؛ إذ لو كان أحد يستغني عن شد الرحال في طلب العلم من غيره، لكان هو موسى عليه السلام، الذي يكلمه الله من فوق سبع سماوات،

(١) الرحلة في طلب الحديث (ص١٠٣)، للخطيب البغدادي أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، المحقق: نور الدين عتر، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٥هـ.

ولذلك ساق الله لنا هذه الرحلة العلمية المتميزة بحوارها المثير، بين المتعلم، وهو نبي الله الموحى إليه، والعالم الذي وصفه الله بأنه عبد من عباده آتاه رحمة وعلَّمه من لدنه علمًا؛ وذلك لكي تكون حافزًا لكل من يظن أن لديه ما يكفي من العلم؛ حتى لا يستنكف عن طلب المزيد من الحكمة، وتعلم ما يجهل من المعارف النافعة والحقائق المبصرة.

وقد خاطب الله رسوله ﷺ، آمرًا له: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ [طه: ١١٤].

مرحلة البلوغ وبداية الشباب مرحلة التوقد في طلب العلم:

سن الشباب سن الاتجاه للعلم، والانقطاع له، والسفر في طلبه، وبذل الجهد في تحصيله؛ ذلك أنها فترة التوثب والحماس لما يختاره الشاب ويتجه إليه. وإليك نماذج في تراثنا بدون استقصاء:

• جاء في المنهج الأحمد للحنبلي: «طلب الإمام أحمد الحديث وهو ابن ست عشرة سنة»[١].

• وهذا الرحالة في طلب العلم ابن النجار جاء في ترجمته: «وأول عنايته بالطلب وهو ابن خمس عشرة سنة، وجمع فأوعى»[٢].

• وجاء في «المنتظم»: عبيد بن وهب بن مسلم، أبو محمد، مولى لقريش، ولد في ذي القعدة سنة خمس وعشرين ومائة، وطلب العلم وهو ابن سبع عشرة سنة[٣].

• أورد الذهبي في «تاريخ الإسلام»: ترجمة أحمد بْن الحُصَيْن بْن عبد الملك بْن عطاف، القاضي، أبو العبّاس العُقَيْليّ، الجيّانيّ، طلب العِلم وهو ابن ستّ عشرة سنة[٤].

---

(١) المنهج الأحمد (١/ ٨).

(٢) المصدر السابق.

(٣) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (١٠/ ٤٠).

(٤) تاريخ الإسلام، للإمام الذهبي، ١٤١٣هـ، المحقق: عمر عبد السلام التدمري، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، (٣٧/ ٩٧).

• وجاء في كتاب «تاريخ علماء الأندلس» لابن الفرضي: عبد الجبار بن فتْح بن مَنصور البلوي: من أهل فَحْص البلّوطِ، طَلَبَ العِلم وهو ابن خمْس عشرة سنة[1].

• جاء في كتاب «الوافي بالوفيات»: ابن واضح الحنظلي مولاهم التركي ثم المروزي، الحافظ فريد الزمان وشيخ الإسلام، كانت أمه خوارزمية، ومولده سنة ثمان عشرة ومائة، طلب العلم وهو ابن بضع عشرة سنة[2].

• نقل ابن خلكان في «وفيات الأعيان» في ترجمة ابن سينا، الرئيس الطبيب والفيلسوف المشهور: «لما بلغ عشر

(١) تاريخ علماء الأندلس، لابن الفرضي عبد الله بن محمد، ١٤٠٨هـ، عني بنشره؛ وصححه؛ ووقف على طبعه: السيد عزت العطار الحسيني الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثانية، (١/ ٣٢٦).

(٢) الوافي بالوفيات، لصلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، المحقق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، الناشر: دار إحياء التراث، بيروت، عام النشر: ١٤٢٠هـ، (١٧/ ٢٢٥).

سنين كان قد أتقن القرآن العزيز، واشتغل بتحصيل العلم، حتى كانوا يقرؤونه عليه وسنه نحو ست عشرة سنة»[١].

• وجاء في ترجمة أبي حامد الإسفرائيني: أنه أفتى وهو ابن سبع عشرة سنة[٢].

• وقال الإمام أبو طاهر السلفي عن نفسه: «كتبوا عني بأصبهان ـ بلده ـ في أول سنة ٤٩٢هـ وأنا ابن سبع عشرة سنة أو نحوها، وليس في وجهي شعر»[٣].

التوصيف التربوي:

من مقاصد النص التربوية يمكن تحديد ما يأتي:

١ ـ تعريف الشباب بعلو مقام طالب العلم عند الله ـ تعالى ـ:

إن استشعار قيمة العلم النافع، وعلى رأسه العلم بالله وبهديه، من شأنه أن يعلِّي هممهم، ويرفع قدرهم في نظر

(١) وفيات الأعيان، لابن خلكان (١/ ١٥٢).

(٢) صفحات من صبر العلماء، لعبد الفتاح أبو غدة (ص٢٠٦).

(٣) صفحات من صبر العلماء، لعبد الفتاح أبو غدة (ص٩٢).

أنفسهم، وفي نظر المجتمع، ويزيد اعتزازهم بمكانتهم، سواء أكانوا تلاميذ في المرحلة الثانوية، أم طلبة في المرحلة الجامعية؛ فإنهم يقومون بعمل جليل، ويؤدون واجبًا كبيرًا.

وقد توالت أحاديث رسول الله ﷺ التي نوَّهت بمكانة طالب العلم: «**طلب العلم فريضة على كل مسلم**»[1]، وحديث: «**من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا، سلك الله به طريقًا من طرق الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض وكل شيء، حتى الحيتان في جوف الماء، وإن العلماء ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا، وإنما ورثوا العلم؛ فمن أخذ به أخذ بحظ وافر**»[2].

---

(١) صحيح الترغيب والترهيب (٧٢)، محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتَبة المَعارف لِلنَّشْرِ والتوزيْع، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

(٢) جامع بيان العلم وفضله (١/١٦٩)، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن =

٢ ـ تحفيز الشباب على العلم باعتباره سعادة وسببًا إلى سعادة:

قال ابن القيم مثبتًا أساسية العلم في بناء الإنسان وسعادته: «وكمال كل إنسان إنما يتم بهاذين النوعين: همة ترقيه، وعلم يبصره ويهديه؛ فإن مراتب السعادة والفلاح إنما تفوت العبد من هاتين الجهتين أو من إحداهما، إما أن لا يكون له علم بها فلا يتحرك فيطلبها، أو يكون عالمًا بها ولا تنهض همته إليها، فلا يزال في حضيض طبعه محبوسًا، وقلبه عن كماله الذي خلق له مصدودًا منكوسًا»[(١)].

٣ ـ توجيه الشباب للاستفادة من علم من هو دونهم سنًا أو مستوى دراسيًّا:

أخذك العلم ممن هو أكبر منك سنًّا يسير، لكن أخذه

= محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

(١) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (١/٤٦)، لابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت.

عمن هو أقل منك علمًا دليل تواضع، واستثمار هذا الاتجاه وتعميقه في نفوس الشباب مهم، من سوق أمثلة من حياة شباب الصحابة، الذين كانوا يُسألون عن قضايا علمية في حضرة كبار الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ، الذين لا يجدون حرجًا في ذلك، وكذا بتدريب التلاميذ على عمل الفريق، الذي يتعلم فيه كل واحد من زميله وقرينه، ويتعاونون على إنجاز عروض وبحوث مشتركة، ويسمح لهم في تقويم بعضهم إجابات بعض.

٤ ـ تعزيز خلق التواضع العلمي لدى المربين والأساتذة والوالدين:

ليقتدي بهم الشباب؛ إذ من المهم أن لا يظهروا أمامهم بما يوحي لهم بأنهم يعلمون علمًا كثيرًا، يكادون معه لا يقعون في الخطأ، بل يربونهم على أن لا عصمة لبشر من الزلل، وقصور الفهم وجواز الوهم، إلا رسل الله عليهم السلام، الذين لا يقرون على الخطأ إن صدر عنهم، بل ينبهون عليه للتو من الله ـ تعالى ـ.

ومن الوسائل المترجمة لهذا التوجه، إسناد تقديم بعض الدروس إلى أحد التلاميذ أمام زملائه، وتلقي تساؤلاتهم والإجابة عليها.

اقتراحات إعمال المقصد:

يمكن أن يقترح لإعمال هذه المقاصد الإجراءات الآتية:

- **في المجال الأسري والاجتماعي:**
  - تشجيع الوالدين أبناءهم على السفر في طلب العلم، وإعانتهم على ذلك.
- **في مجال المناهج الدراسية:**
  - دمج قصص الرحلة في الطلب العلم ضمن مناهج التعليم للمرحلة المتوسطة والثانوية.
- **في مجال النشاط التربوي:**
  - قيام المؤسسات التعليمية بتنظيم رحلات تعليمية، داخل الإقليم، أو على امتداد الوطن الإسلامي الفسيح وخارجه.

- **في المجال الثقافي والإعلامي والتقني:**
  - نشر قصص الشباب المتقدمين وأخبارهم في طلب العلم في أفلام وثائقية مبهرة وممتعة للشباب.

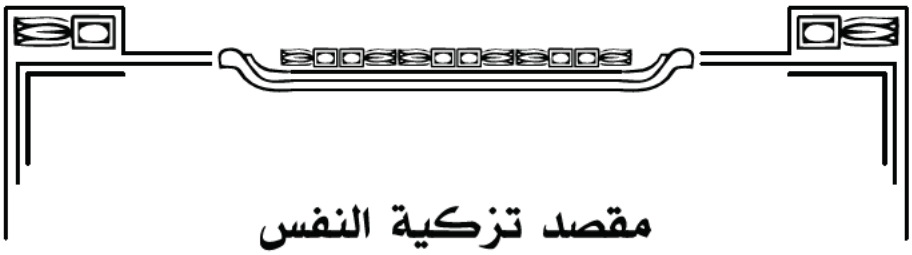

مقصد تزكية النفس

المقصد العام: تزكية النفس.

المقصد الخاص: التربية على حب الجمال والتجمل ظاهرًا وباطنًا.

المقصد الجزئي: إبراز قيمة الجمع بين التجمل الظاهري والباطني.

النص الأساسي:

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر**». قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنًا ونعله حسنة. قال: «**إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق، وغمط الناس**»[1].

---

(١) صحيح مسلم (١/ ٩٣).

التوصيف العلمي:

في هذا الحديث: تحريم الكبر، والوعيد الشديد لمرتكبه. وقد عرَّفه بأنه «**بطر الحق**»؛ أي: دفعه ورده على قائله، و«**غمط الناس**»/ وهو احتقارهم.

وإن الجمال إذا لم يكن على وجه الفخر والخيلاء والمباهاة، بل على سبيل إظهار نعمة الله، لا يدخل في الكبر[1].

قال أبو الفضل العراقي: «فالجار لثوبه فوق الكعبين، مظهرًا للتجمل بذلك، معجبًا بحسن ملبسه ونضارة رونقه، لم يتكبر عن قبول الحق، ولم يحتقر أحدًا؛ فكيف جعل كبرًا مذمومًا؟ (قلت) الذم إنما ورد فيمن فعل ذلك كبرًا، بأن يفعله غير قابل للنصيحة النبوية، ولا مكترثًا بالتأديب الإلٰهي، أو محتقرًا لمن ليس على صفته، التي رآها حسنة بهجة؛ فإن لم يوجد واحد من الأمرين، وإنما أعجبه رونقه غافلًا عن

(١) تطريز رياض الصالحين (ص٤٠٥).

نعمة الله ـ تعالى ـ؛ فهو العجب على ما تقدم بيانه؛ فإن استحضر مع استحسانه لهيئته وإعجابه بملبوسه نعمة الله عليه بذلك، وخضع لها؛ فليس هذا تكبرًا ولا إعجابًا، ولم يرد في الحديث ذمه[1].

فلقد أذن الشرع للإنسان أن يوسع على نفسه في مأكله ومشربه، دون تقتير ولا إسراف، إظهارًا لنعمة الله عليه، وفي الحديث: «**إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده**»[2].

وأخرج النسائي وأبو داود، وصححه ابن حبان والحاكم، من حديث أبي الأحوص عوف بن مالك الجشمي، عن أبيه رضي الله عنه؛ أن النبي ﷺ قال له ـ ورآه رث الثياب ـ: «**إذا آتاك الله مالًا فلير أثره عليك**»؛ أي: بأن يلبس ثيابًا تليق بحاله من النفاسة والنظافة؛ ليعرفه

(١) طرح التثريب في شرح التقريب (٨/ ١٧٤).

(٢) سنن الترمذي، ت: شاكر (٥/ ١٢٤). وقال الألباني: «حسن صحيح».

المحتاجون للطلب منه، مع مراعاة القصد وترك الإسراف[1].

قال ابن العربي: «ومعنى الحديث: أن الثوب إذا خلق جزء منه كان طرح جميعه من الكبر والمباهاة والتكاثر في الدنيا، وإذا رقعه كان بعكس ذلك. وقد ورد أن عمر طاف وعليه مرقعة باثنتي عشرة رقعة فيها من أديم، ورقع الخلفاء ثيابهم، وذلك شعار الصالحين وسُنَّة المتقين، حتى اتخذه الصوفية شعارًا، فرقعت الجديد وأنشأته مرقعًا، وذا ليس بسُنَّة، بل بدعة عظيمة، وفعلة داخلة باب الرياء، وإنما قصد الشارع بالترقيع استدامة الانتفاع بالثوب على هيئته حتى يبلى، وأن يكون دافعًا للعجب، ومكتوبًا في ترك التكلف، ومحمولًا على التواضع»[2].

---

(١) فتح الباري، لابن حجر (١٠/ ٢٦٠).

(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير (٣/ ٢٧)، المؤلف: زين الدين محمد، المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)، =

وأرى أن ترك الثوب الذي خلق جزء منه في هذا العصر، الذي توفر فيه الثوب الجديد، لا يدخل في الإسراف أو الرياء، وإنما يقتضيه إظهار نعم الله على الناس في يومنا هذا، لكن من لا يجد ما يشتري به لباسًا جديدًا، ورقع القديم؛ فقد طرد الكبر عن نفسه، كما أن ترقيع الثوب الجديد ليصير مرقعًا؛ فهو تظاهر شنيع بالزهد والتواضع؛ إذ الزهد الحق يكون بترك الحرام، والفضول من الحلال، وما يشغل عن الله، وهو زهد العارفين.

والحديث من خلال نهيه عن الكبر، وإباحته للتجمل باللباس، يجمع بين شطري الجمال، كما يلزم أن يكون عليه أمر المسلم؛ فدلَّ على جمال الباطن بترك الرياء والخيلاء والتكبر، ورفض الحق واحتقار الناس والتعالي عليهم، بمجرد ما يوضع على الجسم من الملابس، ودلَّ على جمال الظاهر بلبس الجديد أو النظيف من الثياب، وتعهد الجسد بالغسل والنظافة.

= الناشر: المكتبة التجارية الكبرى، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٥٦هـ.

التوصيف التربوي:

أولى الإسلام عناية واضحة لمطلب الجمال في حياة المسلم، والتي صاغها صياغة جمالية عامة تتجلى في كل المجالات، لعل من أبرزها اهتمامه بهيئة الفرد وتنمية الحس الجمالي في أعماق نفسه، ويتضح ذلك مما يأتي:

١ ـ وجود اتجاه عام ينتظم جميع تكاليف الدين، يستهدف الإعلاء من قيمة الجمال:

وهو الأمر الذي تحققه الطهارة والتطهر، انطلاقًا من عقيدة التوحيد، التي تعتبر الشرك بالله نجس معنوي، يجب التطهر منه، إلى جانب خبائث ومنجسات أخرى ـ مثل: الاعتقادات الضالة المناقضة للتوحيد ـ لصحة الانتساب إلى الإسلام والانخراط في سلكه ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

واعتبر الإسلام طيب الإنسان كطهارته وجماله مرتكزة

على حالة قلبه، وما يستوعبه من اعتقادات وأخلاق؛ فوصف المشركين بالنجس، ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا﴾ [التوبة: ٢٨]، ووصف المستقيمين على الدين بالطيبين، والمخالفين لهديه بالخبيثين، ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾ [النور: ٢٦]. كما وصف ـ سبحانه ـ الأعمال القلبية بالجمال؛ فقال آمرًا بالصبر والصفح: ﴿فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾﴾ [المعارج: ٥]، ﴿فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾﴾ [الحجر: ٨٥]. كما أثار الانتباه إلى صور جمالية في الطبيعة: ﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾﴾ [النحل: ٥ ـ ٦]. ويتبين أن أكثر ما يصفه القرآن بالحسن والقبح، أعمال قلبية محضة، أو قلبية بدنية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾﴾ [الكهف: ٣٠]. وهذا يدل على أن منظور الإسلام للجمال

منظور شامل للإنسان باطنًا وظاهرًا، وممتد في المعنويات والماديات على السواء.

٢ ـ اعتمد الإسلام ثلة من الوسائل الفعالة، للتربية على حب الجمال عمومًا، ولدى الشباب خصوصًا:

لذا حث الإسلام على ممارسة التجمل والمواظبة عليه، وعلى رأس التجمل الطهارة، التي هي شرط واجب لأداء الصلاة خمس مرات في اليوم، كما أوجب الغسل عند الاحتلام أو الجماع، واشترط تحري الطهارة ـ أيضًا ـ في لباس الصلاة وفي مكان أدائها: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾ [الأعراف: ٣١].

ودعا الإنسان بصفة عامة، وفي جميع الأوقات، إلى الاهتمام بنظافة جسمه وثوبه، والاعتناء بشعره ومظهره الخارجي.

ودعا الشباب على وجه الخصوص للعناية بمظهره وجماله؛ فعن سمرة بن فاتك أن النبي ﷺ قال: «**نعم الفتى**

سمرة، لو أخذ من لمته وشمر من مئزره»[1]. ففعل ذلك سمرة، أخذ من لمته وشمر من مئزره.

ونظرة الإسلام للجمال تأبى حصره في تناسق الشكل المادي وحده، بل تضمه إلى مقصد النفس وتفرض توظيفه لغايات حميدة، ولذلك نجد الشرع يحرم جر الثوب خيلاء وتكبرًا على الناس، وشحن طريقة اللباس والمشي فيه بإيحاءات وإشارات دنيئة. فقد مر بأبي هريرة رضي الله عنه فتى من قريش، وهو يجر سبله؛ فقال له: ابن أخي، إني سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «**من جر ثوبه من الخيلاء، لم ينظر الله إليه يوم القيامة**»[2].

وقال ـ تعالى ـ ناهيًا المرأة عن قصد إثارة الرجل

---

(١) مجمع الزوائد (٥/١٢٢)، رواه أحمد ورجاله ثقات غير شيخه. قال في مجمع الزوائد: رواه أحمد عن شيخه يعمر بن بشر، ويقال: مشايخ أحمد كلهم ثقات، وبقية رجاله ثقات. رقم الحديث (٨٥١٥).

(٢) صحيح البخاري (٧/ ١٤١).

للافتتان بزينتها ـ: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ [النور: ٣١].

٣ ـ تجميل السلوك بإيقاعه وفق قصد حسن راق جميل:

توجيه السلوك لموافقة الضوابط الشرعية، وانسجامه مع الحسن والجمال، يكون به العمل خالصًا صوابًا، إذ قصد المكلف له تأثير كبير في توجيه العمل ليكون فضيلًا ومحمودًا، أو رذيلًا مذمومًا، «**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى**»[1].

ولوهج جمال السلوك والفعل أثر كبير؛ لأن مجرد الإقلاع عن الفعل القبيح المشين، والندم على فعله من خلال التوبة الصادقة، حينها إذا قبلها الله ـ تعالى ـ محا السوء؛ فتطهر قلب الإنسان قبل سلوكه الظاهر من القبائح والخبائث، ولهذا كان من علائم صدق التوبة فعل الحسن

(١) صحيح البخاري (١/٦).

الذي يدلل على صدق التوبة، من خلال إتباع العمل السيئ المراد التخلي عنه، بالعمل الحسن المراد التحلي به، كما صح الخبر عن الصادق المصدوق: «**اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن**»[1].

٤ ـ تربية الشاب نفسه على استحضار البعد الشرعي للملبس، ليستوفي شروط الجمال في التصور الإسلامي:

والتصور الإسلامي في اللباس له مقاصد عظيمة، قال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ٢٦﴾ [الأعراف: ٢٦].

كما يربط الإسلام بين جمال الشكل وجمال أثره في النفس، لذلك حرَّم أنواعًا من الألبسة استنادًا إلى تأثيراتها السلبية في النفس؛ فحرَّم على الرجال لباس النساء، وحرَّم

(١) مسند أحمد، ط. الرسالة (٣٥/ ٢٨٤). قال أحمد شاكر: «حسن لغيره، وهذا إسناد رجاله ثقات».

على النساء لباس الرجال؛ منعًا لتشبه جنس بالجنس الآخر، والذي تفسد به الخصائص الجنسية والمزاجية؛ ففي الحديث: «**لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال**»(١).

وحرَّم لبس الذهب والحرير على الرجال لذات الاعتبار؛ فعن علي بن أبي طالب، قال: إن نبي الله ﷺ أخذ حريرًا فجعله في يمينه، وأخذ ذهبًا فجعله في شماله، ثم قال: «**إن هذين حرام على ذكور أمتي**»(٢).

كما حرَّم اللباس الذي اشتهر به قوم من غير المسلمين؛ منعًا لمضاهاتهم في اعتقاداتهم وأخلاقهم، وصونًا للهوية الإسلامية من الاختراق الفكري والسلوكي؛ فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ: «**من تشبَّه بقوم**

(١) رواه أحمد في المسند (٥/٢٤٣)، قال المحقق: إسناده صحيح على شرط البخاري.

(٢) رواه أحمد (٢/١١٨٩)، وأبو داود (٤/٥٠)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود برقم (٤٠٥٧).

فهو منهم»[1].

اقتراحات إعمال المقصد:

يمكن أن يقترح لإعمال هذه المقاصد الإجراءات الآتية:

- **في المجال الأسري والاجتماعي:**
  - تعليم الشباب حقيقة النظرة الجمالية الإسلامية، ومراعاة ذلك في الألبسة الخاصة بالذكور والخاصة بالإناث، ومنظومة الأخلاق والقيم المتصلة بها.
- **في مجال المناهج الدراسية:**
  - دمج نصوص ومنهجية الجمال في التصور الإسلامي في المناهج التعليمية، وتصحيح تشوهات الجمال في مدارك المتعلمين وتصوراتهم.
- **في مجال النشاط التربوي:**
  - التركيز في ترسيخ الرؤية الإسلامية للجمال، وعلى

(١) سنن أبي داود (٤/ ٤٤).

تطبيقاتها على مستوى اللباس، انطلاقًا من لباس التلاميذ، ذكورًا وإناثًا، داخل المؤسسات التعليمية، ومراعاة ذلك في الأنشطة المتنوعة.

- **في المجال الثقافي والإعلامي والتقني:**

○ تقديم مواد مقنعة عبر وسائل الإعلام لتصحيح صورة الجمال في التصور الإسلامي في أذهان الناشئة، وأثر ذلك في اللباس والأخلاق، وبيان شموله للظاهر والباطن.

مقصد حفظ العقل

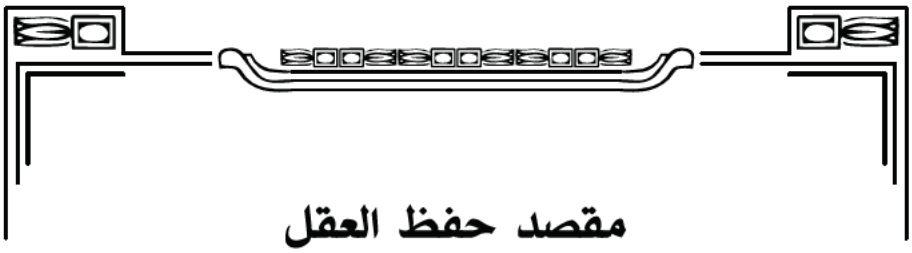

مقصد حفظ العقل

المقصد العام: حفظ العقل.

المقصد الخاص: تعريف الشباب بمكانة العقل في الدين ووسائل تنميته وحمايته.

المقصد الجزئي: بيان ارتباط المسؤولية الإنسانية بالوعي والإدراك العقلي.

النص الأساسي:

عن علي بن أبي طالب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

«رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ، وعن الغلام حتى يحتلم، وعن المجنون حتى يفيق»[1].

التوصيف العلمي:

يؤكد الحديث رفع التكليف عن الإنسان عند غياب

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك وقال: إسناده صحيح على شرط مسلم (٢/ ٥٩)، وأخرجه أحمد (٦/ ١٠٠)، والدارمي (٢/ ١٧١).

الوعي، بسبب نوم أو صغر سن أو جنون؛ ففي النوم تتوقف وظيفة العقل، وتتوقف معها مسؤولية الإنسان تمامًا، حتى يستيقظ ويعود إليه وعيه من جديد، وأثناء النوم إذا لزمه القيام بواجب، أو تأمين مصلحة ودرء مفسدة؛ فإنه يحول نومه دون فعل المتعين في الوقت الذي وجب فيه، مثل: النوم عن صلاة مفروضة حتى خرج وقتها؛ فإنه يقضيها متى استفاق، ولا يسأل عن تأخيرها إلا إذا قصَّر في اتخاذ التدابير اللازمة لذلك، ومنها اتخاذ منبه ينبهه شخصًا أو آلة.

وأما الغلام الذي لم يحتلم بعد؛ فهو ـ أيضًا ـ غير مكلف بأداء الفرائض وترك المحرمات، حتى يتحقق بلوغه الذي يصحبه عادة نضج عقله واكتمال إدراكه؛ فيطالب بها ويكتب له أجر الامتثال، كما يكتب عليه وزر عدم الامتثال.

يقول ابن الملقن الشافعي: «والإجماع قائم على أنه لا تلزم العبادات إلا بعد البلوغ»[1].

(١) التوضيح لشرح الجامع الصحيح (١٣/ ٤١٣).

وأما المجنون الذي هو فاقد العقل، أو من اختلت وظيفته واضطربت أحكامه؛ فإنه معفى من التكليف الشرعي، خلال فترة توقف عقله، إلى أن يعود إليه وعيه من جديد؛ فتلزمه حينئذٍ التكاليف مرة أخرى.

وفي هذا الصدد «أجمع العلماء أن ما جناه المجنون في حال جنونه هدر، وأنه لا قود عليه فيما يجني؛ فإن كان يفيق أحيانًا ويغيب أحيانًا؛ فما جناه في حال إفاقته (فعليه) فيه ما على غيره من البالغين غير المجانين»[1].

وإذا قام بعمل ضار بالآخرين في حال فقدانه العقل؛ فإنه يلزمه تعويض ما أتلفه من مال غيره؛ لأن العمد والخطأ في أموال الناس سواء، «وأجمع العلماء أن الغلام والنائم لا يسقط عنهما ما أتلفا من الأموال، وإنما يسقط عنهما الإثم،

(١) الاستذكار (٨/ ٥٠)، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

وأما الأموال فتضمن بالخطأ كما تضمن بالعمد، والمجنون عند أكثر العلماء مثلهما؛ فدل ذلك على أن الحديث وإن كان عامًّا لمخرج؛ فإنه مخصوص بما وصفنا»[1]. ويلحق بالمجنون المعتوه الذي لا يحسن التفكير والتصرف؛ ففي الحديث: «**رفع القلم في الحد عن الصغير حتى يكبر، وعن النائم حتى يستيقظ، وعن المجنون حتى يفيق، وعن المعتوه الهالك**»[2].

وخلاصة الأمر: أن قلم التكليف يبدأ جريانه اتفاقًا بعد البلوغ وبظهور علاماته، أو بلوغ ١٥ سنة على قول الجمهور، أو ١٨ سنة كما ذهب إليه أبو حنيفة ـ رحمهم الله تعالى ـ.

التوصيف التربوي:

يتأكد من التوصيف العلمي اتجاه الإسلام إلى إثبات

(١) المصدر السابق.

(٢) مسند الشاميين، للطبراني (٤/ ٣٤٤).

ربط التكليف بالبلوغ لأجل حضور العقل، ورفع التكليف عند زوال العقل، وهو ما يستوجب استلهام هذه العلاقة واعتمادها في تربية النشء، وتبصير البالغ للتو أن شرائع الإسلام باتت واجبة عليه، وأنه مكلف شرعًا.

وانطلاقًا من هذه الحقيقة يمكن تقديم التوضيحات التربوية الآتية:

١ ـ تعريف الشباب بنعمة العقل باعتباره مناط التكليف:

التكليف الذي يرتقي به الإنسان نحو الكمالات البشرية؛ فيحوز عن طريقه التكريم والشرف والتقدير، ويستحق رضا الله والفوز بالنعيم الخالد في الدار الآخرة، والنجاة من الخزي والشقاء والعقاب في الدنيا والآخرة؛ حيث إن المجنون يتوقف عمله عند توقف عقله، وهو معذور شرعًا ولا يضيعه الله ـ تعالى ـ، لكن العاقل لا تزال درجاته في تصاعد على قدر زيادة أعماله، واضطلاعه بالمسؤوليات المختلفة.

٢ ـ توعية البالغ بأنه بدأ طريقًا يكون بها مساويًا للكبار في المسؤولية والتكليف:

وأن لا فرق في ذلك بينه وبينهم من هذا الجانب، سوى أن جسمه وعقله ما يزالان يتطوران ويحرزان مزيدًا من الكفاءة العقلية والقدرة الجسمية، اللذين تتيسر بهما ممارسة المهام والتكاليف الأكثر صعوبة، ويتمكن بهما من التفوق في الأداء والإتقان أحيانًا على من هم أكبر منه سنًّا من فئة الشباب والكهول.

ولهذا كانت هذه المرحلة (١٥ ـ ١٨) سنة مقدمة للبلوغ، وهي المرحلة التي يتدرج فيها البالغ في مدارج التكليف.

٣ ـ أنّ البالغ يحتاج أن يعرف يقينًا أنه غدا اليوم رجلًا مكلفًا، وأصبحت هي فتاة مكلفة:

يجب عليهما الدخول في دين الله كافة؛ بعد أن سهل عليهم التديّن بالتهيئة السابقة؛ لذلك لما جاء أنس بن مالك رضي الله عنه يبشّر رسول الله ﷺ ببلوغه؛ أَمَرَه ﷺ مباشرة

بعدم الدخول على النساء. قال أنس رضي الله عنه: (لما كان صبيحةَ احتلمتُ دخلت على النبي ﷺ فأخبرته أني قد احتلمت. فقال: «**لا تدخل على النساء**». فما أتى عليَّ يوم كان أشدَّ منه»[1].

وقريبًا من ذلك ما صنعه والد عبد الرحمٰن بن بشر النيسابوري بولده حين بلغ، حيث يقول عبد الرحمٰن: (احتلمت؛ فدعا أبي عبدَ الرزاق وأصحابَ الحديث الغرباء؛ فلما فرغوا من الطعام قال: اشهدوا أنّ ابني قد احتلم)[2].

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط، حديث (٢٩٦٨)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٧٧١٩)، وقال: رواه الطبراني في الصغير والأوسط، وفيه: زافر بن سليمان، وهو: ثقة، وفيه: ضعف لا يضر، وبقية رجاله ثقات.

(٢) سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي، ١٤١٧هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان (١٢/ ٣٤٢). ولا يزال بعض الناس يعمل بمثل هذا الصنيع؛ أعني: الاحتفال بالفتى أول ما يبلغ؛ فإن الطوارق من الأمازيغ في الصحراء في نواحٍ من المغرب والجزائر وليبيا وشمال مالي والنيجر يعتنون بهذا، فحين يبلغ الفتى يحتفلون به =

اقتراحات إعمال المقصد:

يمكن أن يقترح لإعمال هذه المقاصد الإجراءات الآتية:

- **في المجال الأسري والاجتماعي:**
  - عمل الوالدين احتفالًا بأولادهم ـ ذكورًا أو إناثًا ـ بمجرد بلوغهم يشعرهم بالانتقال إلى مرحلة التكليف، ويحسن أن يقترن بفعل طاعة لها صلة بالتكليف، مثل: ارتداء الفتيات البالغات للحجاب.

- **في مجال المناهج الدراسية:**
  - دمج نصوص وجوب التكليف بمجرد البلوغ وأخبار

= في مناسبة تنتهي بتعميمه العمامة الطارقية أمام الناس، فينتقل في اليوم التالي من مرابع الطفولة ولهوها إلى مجلس شيخ القبيلة، محاولًا بذلك إثبات رجولته بحسن فعاله وتحمله للمسؤولية على وجه يضمن له اعتراف القبيلة له بالرجولة كسائر الراشدين. للاستزادة، انظر: كتاب «دعه فإنه مراهق»، لعبد الله الطارقي، كنوز المعرفة ٢٠١١م، جدة، السعودية (ص٢٤١).

الاحتفال بالشباب عند بلوغهم في التراث الإسلامي.

- **في مجال النشاط التربوي:**

○ تطوير المربين والمؤسسات التعليمية لأنشطة احتفالية بالشباب والفتيات أيام بلوغهم؛ لإشعارهم بالانتقال في التكليف، وكيف ينبغي لهم أن يفعلوا، وما يترتب على المرحلة الجديدة التي دخلوا فيها، وتحفيزهم للإحسان وبث الثقة فيهم من خلال الرحلات والمسابقات والأنشطة اللاصفية المتنوعة.

- **في المجال الثقافي والإعلامي والتقني:**

○ نشر برامج ومواد إعلامية تشعر الشباب والفتيات أنه بمجرد بلوغهم انتقلوا لمرحلة جديدة في الإسلام والتكليف.

مقصد حفظ النسل

مقصد حفظ النسل

المقصد العام: حفظ النسل.

المقصد الخاص: إكساب الشباب خلق العفة والقدرة على الصمود أمام إغراءات الفاحشة.

المقصد الجزئي: بيان دور لباس البالغة في تيسير العفة ومنع انتشار الفاحشة.

النص الأساسي:

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖۚ ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ إِن

تُبْدُوا۟ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾ لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ ۚ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾ [الأحزاب: ٥٣، ٥٤].

التوصيف العلمي:

أولى الإسلام عناية كبيرة للباس باعتباره معلمًا من معالم الشخصية الإسلامية، وسلوكًا يجري عليه حكم الوجوب والجواز والحرمة، بحيث يتعين على المسلم ـ ذكرًا أو أنثى ـ أن يلم بأحكام وآداب اللباس، ويجتهد في مراعاتها؛ تحقيقًا لمقاصده وحكمه البالغة.

فاللباس بمواصفات يحددها الشرع، يغدو شعارًا للمسلم، يعرف به بين الأمم الأخرى، ويشكل أهم سماته البارزة.

وقد بيَّن القرآن الكريم أحد أبرز مقاصد لباس المرأة، وهو أن تعرف بأنها مسلمة تدين بالإسلام عقيدة وأخلاقًا

ومعاملات، تحل حلاله وتحرم حرامه، وتلتزم الطهر والعفاف، وتقف عند حدود أوامره ومنهياته.. فقال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٥٩﴾ [الأحزاب: ٥٩].

قال الرازي: «قيل: يُعرفن أنهن حرائر فلا يتبعن، ويمكن أن يقال: المراد: يعرفن أنهن لا يزنين؛ لأن من تستر وجهها، مع أنه ليس بعورة، لا يطمع فيها أنها تكشف عورتها؛ فيعرفن أنهن مستورات لا يمكن طلب الزنا منهن»[1].

فمن مقاصد اللباس في الإسلام ستر العورة ومكامن الفتنة في الجسد، سيما **لدى النساء والفتيات؛ فإذا بلغت الفتاة وجب عليها ارتداء الحجاب الشرعي**.

نقل العلماء في سبب نزول هذه الآية موافقة عمر بن

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٢٥/ ١٨٤).

الخطاب ﷺ للوحي كما في حديث أنس ﷺ، قال: قال عمر ﷺ: **قلت: «يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر؛ فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب؛ فأنزل الله آية الحجاب»**[1].

قال الشنقيطي معلقًا على حديث عائشة ﷺ في مدحها نساء المؤمنين بالمدينة: «لما نزلت هذه الآية ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: ٣١]، أخذن أزرهن فشققنها من قبل الحواشي؛ فاختمرن بها»، رواه البخاري.

وهذا الحديث الصحيح صريح في أن النساء الصحابيات المذكورات فيه فهمن أن معنى قوله تعالى: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: ٣١]، يقتضي ستر وجوههن، وأنهن شققن أزرهن فاختمرن؛ أي: سترن وجوههن بها امتثالًا لأمر الله في قوله تعالى: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: ٣١] المقتضي ستر وجوههن،

(١) رواه البخاري (٦/١١٨).

وبهذا يتحقق المنصف أن احتجاب المرأة عن الرجال وسترها وجهها عنهم ثابت في السُّنَّة الصحيحة المفسرة لكتاب الله تعالى[1].

وتُعَدُّ من النصوص الشهيرة في فرض الحجاب على البالغات آية الحجاب الأخرى وهي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٥٩﴾ [الأحزاب: ٥٩].

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولم تزل عادة النساء قديمًا وحديثًا يسترن وجوههن عن الأجانب»[2].

وقد تناول فقهاء الإسلام مسائل الحجاب وأحكامه بتفاصيل كثيرة، ونشير هنا إلى قضايا تلخيصية تهمنا هنا في مقصد حفظ النسل وتحقيق العفة وفق ما يأتي:

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للإمام الشنقيطي (٦/ ٢٥٠).
(٢) فتح الباري، لابن حجر (٩/ ٣٢٤).

١ ـ لزوم الحجاب بمجرد بلوغ الفتاة؛ فحجاب الفتاة البالغة أصل شرعي له مقاصد شرعية مهمة.

٢ ـ لزوم درء الفتنة بالمرأة من خلال الحجاب على العورات ومواطن الفتنة بها.

والرجل عادة عندما ينظر إلى المرأة يستطلع حال إيمانها وعفتها، من خلال لباسها وتصرفاتها، وما الدوافع الكامنة خلف سلوكها، حيث «يحبب إلى المرأة أن يرى حسنها وجمالها، وهذه الرغبة لا تكون جلية بارزة أبدًا، ولكن هذا النزوع إلى إظهار الزينة، يكمن لا محالة في مطاوي النفس، وهو الذي تظهر آثاره في زينة اللباس، وتجميل الشعر، وانتخاب الأزياء الرقيقة الجذابة، وما إلى ذلك من الجزئيات الخفيفة التي لا يمكن حصرها»[١].

ومن ثم فما يلحظ عندها من تساهل في أسباب الستر والتصون، والزيادة عن الحد المحمود في شكل اللباس،

(١) الحجاب، للمودودي (ص٢٥٨ ـ ٢٥٩).

يزيد الطمع فيها، ويجر عليها الإساءة والمهانة، ويعرضها لأذى الأشرار والسفهاء.

ويعتبر الحجاب ـ أيضًا ـ متلائمًا مع الغيرة، التي جُبل عليها الرجل السوي، الذي يأنف أن تمتد النظرات الخائنة إلى زوجته وبناته ومحارمه، قال سعد بن عبادة رضي الله عنه: «لو رأيت رجلًا مع امرأتي لضربته بالسيف غير مصفح». فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: «**أتعجبون من غيرة سعد؛ لأنا أغير منه، والله أغير مني**»[1]. بل إن المسلم ليغار على النساء المسلمات، ولا يحتمل انتهاك حرماتهن فحشًا وفسادًا.

التوصيف التربوي:

لقد وظفت التربية الإسلامية اللباس في تعزيز الاتجاه الصحيح في السلوك، واكتساب السلوك السوي وتعديله، وتوضيح ذلك كما يأتي:

(١) صحيح البخاري (٨/ ١٧٣).

١ ـ حجاب الفتاة عند بلوغها فيه تحفيز إلى الاتجاه الصحيح في السلوك:

للِّباس تأثير واضح في النفس، يقوي فيها أحاسيس واتجاهات معينة، ويرفع نشاطها لممارسة سلوك بعينه، ويحد من اندفاعها في سلوك آخر، بحسب هيأته وطبيعته؛ لذلك منع الإسلام إسدال الثوب إلى الكعبين؛ لما يورث في النفس من تكبر وخيلاء، وحبب في اتخاذ الزينة قبيل الصلاة؛ حتى ينسجم حال المصلي ورغبته في التطهر والتجمل بالعبودية لله، واستعظام المثول بين يديه، وتمكينه من استشعار هذه المعاني السامية والتحقق بها.

وألزم الحاج والمعتمر بلباس الإحرام؛ لإكسابه الإحساس بالتخلي عن المظاهر الدنيوية والقيم المادية، وإخلاص التوجه لله، واستذكار لحظة الرحيل إلى الدار الآخرة.

وفرض اللباس الساتر لزينة المرأة؛ ليتعزز به في نفسها الحرص على العفة، والامتناع عن التسبب في الإثارة والفتنة لمن ينظر إليها من الرجال.

٢ ـ الحجاب يكسب الفتاة سلوك قدواتها من العفيفات:

ويوظف اللباس بصورة واسعة في التربية على الانتماء لدين الإسلام وقيمه وأخلاقه، كما لبلدانه وتقاليدها وأعرافها، التي تحدد نمطًا موحدًا يحكم لباس أهلها، يقول الإمام ابن تيمية: «إن المشاركة في الهدي الظاهر، تورث تناسبًا وتشاكلًا بين المتشابهين، يقود إلى موافقة ما في الأخلاق والأعمال، وهذا أمر محسوس؛ فإن اللابس لثياب أهل العلم ـ مثلًا ـ يجد في نفسه نوع انضمام إليهم، واللابس لثياب الجند المقاتلة ـ مثلًا ـ يجد في نفسه نوع تخلق بأخلاقهم، ويصير طبعه متقاضيًا لذلك»[(١)].

وفي هذا السياق نرى الداخلين في الإسلام، يقدمون

(١) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (١/ ٤٤)، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: ناصر عبد الكريم العقل، الناشر: دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، الطبعة السابعة، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م.

على التخلي عن لباسهم، الذي يذكرهم بالطائفة التي كانوا منتمين إليها، وبالفترة الماضية من حياتهم التي عاشوها في ضلال وخسران، وينتقلون إلى لباس أهل الدين الجديد؛ ليعمقوا انتسابهم إليه باستعمال لباسهم، الذي يكون مشحونًا برموز دين الفطرة والعقل والفضيلة والحنيفية السمحاء.

٣ ـ حجاب الفتاة بمجرد بلوغها يسهم في تعديل السلوك:

يعتبر اللباس من الوسائل الفعالة في تيسير تعديل السلوك المنحرف لدى الذكور والإناث، ويكتسي أهمية كبرى لدى الفتاة على الخصوص، من خلال التربية على ارتداء اللباس الشرعي الساتر لزينتها، وتبصيرها بشناعة سعي المسلمة لفتنة الذكور ونيل إعجابهم بجمالها، وما يترتب على ذلك من فساد النفوس والأخلاق، «فكل زينة وكل تجمل تقصد به المرأة أن تحلو في عين الأجانب، يطلق عليه تبرج الجاهلية، حتى القناع الذي تستتر به المرأة. وإن انتخب من الألوان البارقة والشكل الجذاب لكي تلذ به في

أعين الناظرين؛ فهو ـ أيضًا ـ من مظاهر التبرج الجاهلي، وليس في الإمكان أن تضبط هذه المظاهر بقانون، بل الأمر موكول في ذلك إلى ضمير المرأة نفسها؛ فعليها أن تحاسب نفسها وتتحسس فيها، لعلها يكمن في مطاويها هذا النزوع إلى التبرج»[1].

فتعديل هذا النزوع لدى الفتيات، يجب أن يبادر به المربون عند ظهور علاماته الأولى؛ حتى يسلم للفتاة تدينها مما يجعله سطحيًّا ومختلًّا، وبعيدًا عن تحقيق مقاصد العفة الحقيقية.

بل أكثر من ذلك يلزم أن تربى الفتاة عند البلوغ على الرسالة الإسلامية، التي تسمو بها عن أن تكون مجرد ألعوبة في أيدي المنحرفين، لإشباع النزوات المتفلتة من قيود الشرع والشهوات المعربدة، وهنا يمثل لباسها الشرعي المحتشم رمزًا ساطعًا بكل معاني الطهر والاستقامة، والانخراط في

(١) الحجاب، للمودودي (ص٢٥٩).

سبيل الصلاح والإصلاح، «فما من سبيل أمام المرأة إلا أن تحدد ذاتها وهويتها من خلال سلم قيمي، يعيد لها الاعتبار، ويفجر فيها طاقات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. عندها ستجد أن هذه الخلفية العقدية واستعادتها لشخصيتها يتكاملان مع زي يعبر عن هويتها وجديتها...»[1].

ويُعَدُّ اللباس ـ بالنسبة للفتاة ـ المجال المناسب للدخول بجدية في تصحيح عقيدتها، وتعديل نظرتها إليها، وإصلاح سلوكها، حتى ينضبط مع تعاليم الدين ومقاصده لتحقيق الطهر والعفة، وذلك عندما تتخلى عن أزياء التبرج، وترتدي أزياء الستر والعزة والشرف.

وهكذا تتعدد حالات توظيف اللباس، لتيسير تحقيق أهداف تربوية معينة، على مستوى الفكر والوجدان والسلوك.

---

(١) انظر: فلسفة الزي الإسلامي (ص٥٣ ـ ٥٤)، المؤلف: أحمد الأبيض، سلسلة الحوار رقم (٢)، الناشر: دار قرطبة للطباعة والنشر الدار البيضاء، ١٩٩٠م.

اقتراحات إعمال المقصد:

يمكن أن يقترح لإعمال هذه المقاصد الإجراءات الآتية:

- **في المجال الأسري والاجتماعي:**

  ○ عناية الأسرة بمساعدة الفتيات على ارتداء الحجاب الشرعي بمجرد بلوغهن، على سبيل يضمن لها العفة والحشمة وحفظها من مطامع الأشرار.

- **في مجال المناهج الدراسية:**

  ○ دمج نصوص وجوب الحجاب بمجرد البلوغ، وفوائده وثماره الحسنة، وبيان الآثار السلبية للتساهل في الحجاب على خلق الفتاة، وبيان المخاطر التي تهددها في ذلك التساهل.

- **في مجال النشاط التربوي:**

  ○ ابتكار أنشطة مدرسية تدرب فيها المعلمات فتياتهن البالغات على أساليب ارتداء الحجاب، ومناقشتهن في ثماره

وفوائده وعواقب التفريط فيه، من خلال الأنشطة والمسابقات.

- **في المجال الثقافي والإعلامي والتقني:**

  ○ بث مواد إعلامية ومواد تثقيفية عن أهمية الحجاب للفتاة المسلمة، وآثاره الإيجابية، وعواقب غيابه في العفة والمخاطر الأخرى.

مقصد حفظ النسل

المقصد العام: حفظ النسل.

المقصد الخاص: إكساب الشباب خلق العفة والقدرة على الصمود أمام إغراءات الفاحشة.

المقصد الجزئي: بيان أسرار ارتباط الاستئذان بالبلوغ.

النص الأساسي:

﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾﴾ [النور: ٥٩].

التوصيف العلمي:

جمع النص بين قضية الاستئذان وحصول البلوغ؛ فإذا بلغ الطفل وبدأ رحلة الرجولة وجب عليه الاستئذان في سائر الأوقات؛ يقال: أذِنَ لـه يأذَن، إِذْنًا؛ فهو آذِن، والمفعول

مَأْذون له، وأذِن له في الدخول: أباح له وسمح، وفي القرآن: ﴿فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ [النور: ٢٨]، ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِيٓ أَبِيٓ﴾ [يوسف: ٨٠][(١)].

واستأذنَ على، يستأذن، استئذانًا؛ فهو مُستأذِن، والمفعول مُستأذَن، واستأذن فلانًا: طلب منه الإذن لفعل شيء «استأذنه في استعارة الكتاب لمدّة أسبوع: ﴿فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ﴾ [النور: ٦٢]». استأذن عليه: طلب منه إذنًا للدخول عليه[(٢)].

والاحتلام في المنام، والحلم: الرؤيا، جمعه: أحلام، والحُلم والاحتلام: الجماع في النوم. وقال الراغب: «هو زمان البلوغ، سمي به لكون صاحبه جديرًا بالحلم؛ أي: الأناة وضبط النفس»[(٣)]. وبلغ الحلم بمعنى:

(١) معجم اللغة العربية المعاصرة (١/ ٧٧).

(٢) المصدر السابق (١/ ٧٨).

(٣) المفردات، للراغب الأصفهاني (ص٢٥٣).

بلغ سن التكليف. ﴿كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: كما يستأذن الرجال البالغون. فيطلب من الأطفال إذا بلغوا سن الاحتلام أن يستأذنوا كما يستأذن البالغون في جميع الأوقات.

وفي هذا النص «**دلالة على أن الاحتلام بلوغ**»[(١)]، كما عبَّر عن البلوغ بالاحتلام؛ لأنه أقوى دلائله[(٢)]. ومعنى (بلوغ الحلم): «أن البالغ إذا رأى في النوم أنه يجامع؛ فإنه ينزل منه المني، وذلك معنى: بلوغه الحلم؛ أي: إنزال المني بسبب ما يراه في حلم النائم»[(٣)].

وورد في أسباب نزول النص «أنه دخل على أسماء بنت مرشد غلامها في وقت كرهت فيه دخوله؛ فأتت رسول الله ﷺ وقالت: إن خدمنا وغلماننا يدخلون علينا في

(١) أحكام القرآن، للجصاص (٥/١٩٦).

(٢) السراج المنير، للشربيني (٢/٦٣٨).

(٣) انظر: العذب النمير، للشنقيطي (٢/٥١٢).

حالة نكرهها[1]. وقيلَ: أرسلَ رسولُ الله ﷺ مِدْلَجَ بنَ عمروٍ الأنصاريَّ، وكانَ غُلامًا، وقتَ الظَّهيرةِ، ليدعو عمر رضي الله عنه فدخلَ عليه وهو نائمٌ، قد انكشفَ عنه ثوبُه؛ فقال عمرُ رضي الله عنه: لودتت أنَّ الله ـ تعالى ـ نَهَى آباءَنا وأبناءَنا وخدمَنا أنْ لا يدخلوا علينا هذه السَّاعاتِ إلا بإذنٍ. ثمَّ انطلقَ معه إلى رسولِ الله ﷺ فوجدَه وقد أُنزلتْ عليه هذه الآيةُ»[2].

ويجب الاستئذان في حق البالغ بمجرد تأكد بلوغه وفق هذه الآية. وللبلوغ علامات يعرف بها، «والبلوغ يكون بأحد خمسة أشياء، ثلاثة يشترك فيها الرجال والنساء: الاحتلام واستكمال خمس عشرة سنة والإنبات، وشيئان يختصان بالنساء: الحيض والحمل»[3].

---

(١) بيان المعاني (٦/ ١٥٠).

(٢) انظر: تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٦/ ١٩٣).

(٣) زاد المسير في علم التفسير (٢/ ١٥)، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمٰن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، =

والمقصود بالاحتلام: نزول المني من الذكر أو الأنثى بسبب الاحتلام في المنام أو الجماع في اليقظة، وفي هذه السن يصير البالغ مشتهيًّا للجنس الآخر ومنجذبًا إليه، ومن ثم يجب في حقه الاستئذان؛ حتى لا يطلع على العورات. يقول الإمام الشافعي: «فأعلم أن فرض الاستئذان إنما هو على البالغين»[1].

وقد سبق أن أمر الله الكبار بأن يطلبوا من خدمهم وأطفالهم الذين قاربوا البلوغ بأن يستأذنوا عليهم عندما يتخففون من الثياب.

فإذا استوفى الطفل شروط البلوغ دخل في عداد المكلفين، ولزمه ما يلزم الكبار من تكاليف الشرع؛ ومنها الاستئذان على والديه وغيرهم داخل المنازل.

= المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

(١) تفسير الشافعي (٣/ ١١٤٧).

ويكون الاستئذان على الزوجين في غرفتهما، وكانت البيوت وما تحتوي عليه من غرف على عهد رسول الله ﷺ ليست لها أبواب ولا ستور، كما هو الحال اليوم؛ مما يستوجب الاستئذان في دخولها بعد إذن من بها، وإلا وجب عدم الدخول؛ تفاديًا لوقوع البصر على العورات المحرمة شرعًا، قال رسول الله ﷺ: «**إنما جعل الاستئذان من أجل البصر**»[1]. وعن ابن عباس قال: «أما من بلغ الحلم؛ فإنه لا يدخل على الرجل وأهله؛ يعني: من الصبيان الأحرار، إلا بإذن على كل حال»[2]. وسواء كان الزوجان معًا داخل الغرفة أو كان أحدهما فقط؛ لأن المرء في غرفته يتخفف من لباسه، ويتصرف على سجيته بحرية ودون تكلف، وقد يزعجه من يباغته بالدخول عليه وهو غير مستعد لاستقباله؛

---

(١) أخرجه البخاري في الاستئذان، باب: الاستئذان من أجل البصر (١١/٢٦) «فتح الباري»، ومسلم في الأدب، باب: تحريم النظر في بيوت الغير (١٤/١٣٦)، بشرح النووي.

(٢) جامع البيان، للطبري (١٧/٣٥٨).

فعن ابن المسيب، قال: «يستأذن الرجل على أمه؟ قال: إنما نزلت: ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ﴾ [النور: ٥٩] في ذلك»[١].

روى مالك عن عطاء بن يسار رضي الله عنه؛ أن رجلًا سأل رسول الله ﷺ فقال: «أستأذن على أمي؟» فقال: «**نعم**». فقال: «إنها معي في البيت». فقال رسول الله ﷺ: «**استأذن عليها**». فقال الرجل: «إني خادمها». فقال رسول الله ﷺ: «**استأذن عليها، أتحب أن تراها عريانة؟**». قال: لا. قال: «**فاستأذن عليها**»[٢].

ومعلوم أنه اليوم صارت للغرف أبواب وأقفال تقفل بها من الداخل، لكن تلك الأقفال قد لا تكون موجودة، أو تكون معطوبة، أو يقع نسيان استعمالها لغلق الباب؛ مما

---

(١) جامع البيان، للطبري (١٧/ ٣٥٩).

(٢) الموطأ (٢/ ٩٦٣). وقال ابن عبد البر: مرسل صحيح. وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى، باب: استئذان المملوك والطفل في العورات الثلاث (٧/ ٩٧).

يستدعي طرق الباب وعدم الدخول إلا بعد إذن من في داخلها.

التوصيف التربوي:

يرمي مقصد الاستئذان إلى تحقيق أهداف تربوية، أهمها ما يأتي:

١ ـ إشعار البالغ بالانتقال من مرحلة الطفولة إلى مرحلة البلوغ:

من الأهداف التربوية للاستئذان عند البلوغ استشعار البالغ للانتقال من مرحلة الطفولة والدخول في مرحلة البلوغ، والتهيؤ النفسي لممارسة التكاليف إلى جانب الكبار، والبداية في مراعاة حدود الشرع والوقوف عندها. فبعد أن كان يطالب بالاستئذان في ثلاثة أوقات محددة، أصبح الآن مطالبًا به في جميع الأوقات، بما يدل على تقدمه في مجال التكاليف الشرعية، والتي تتناسب مع ما طرأ في ذاته من تطورات البلوغ البارزة للعيان؛ كالنمو الجسمي المتسارع،

وإنبات الشعر، وتغير الصوت، والاحتلام في المنام، والميل إلى الجنس الآخر.

فكل هذه العلامات تجعل البالغ يتجاوب مع زيادة التكاليف الشرعية، ويتهيأ لاستيعاب التوجيهات التربوية، من طرف الوالدين والمربين، والمواكبة لدخوله سن التكليف.

٢ ـ حفظ حرمة المسكن:

يعتبر المسكن عامة، والغرفة الخاصة داخله، حرمة شخصية، شدد الشرع في حفظها وصانها عن الانتهاك دون رضا صاحبها، بحيث يخلو فيها المرء إلى نفسه وزوجه، ويملك داخلها حرية مطلقة للتصرف بحسب ما يروق له، ويستجيب لحاجاته وإصلاح شأنه، مثل: التخفف من لباسه أو نزعه، ترقيع ثوبه، مضاجعة زوجه، وعمومًا وجوده على حال لا يريد أن يراه عليه غيره.

والأصل في علاقة المؤمنين فيما بينهم أنها تقوم على حرمة الإحراج، وحرمة هتك الستر، وحرمة الاطلاع على

العورة، وحرمة الإيذاء بالقول والعمل، بل يجب أن يعامل بما يحب، ووفق ما يشاء ويختار، دون أدنى إزعاج أو تشويش.

٣ ـ غض البصر عن رؤية العورات:

استئذان البالغ داخل البيت وسيلة احترازية عن الاطلاع على عورات أقرب الناس الملازمين له، والذين يعيش معهم تحت سقف واحد، وهم والداه وإخوته وجده وجدته، وسائر أهله في المنزل.

وهو في نفس الوقت تدريب لممارسة حفظ البصر عن رؤية المحارم في معناه الواسع، وبذلك يتربى في النفس خلق الحياء، ويتمرن على كف البصر عن العورات أينما وجدت، ومعلوم أن غض البالغ لبصره ليس بالعمل السهل، والشهوة المندفعة في نفسه تدعوه لرؤية ما يزيدها إثارة واتقادًا، لكن الاستئذان ينمي في النفس تهيب الكشف عن العورات، ويعظم حرمتها في النفس، ويعين البالغ على

التحكم في اندفاعاته الشهوانية، وييسر له ضبطها خارج إطار المنزل، كما أنه يحتاج إلى توفر ظروف ووسائل أخرى مكملة داخل المجتمع، تعاضد وسيلة الاستئذان وتتسق معها، لاكتساب القدرة على غض البصر وممارسة العفة.

اقتراحات إعمال المقصد:

يمكن أن يقترح لإعمال هذه المقاصد الإجراءات الآتية:

- **في المجال الأسري والاجتماعي:**
  - ملاحظة الوالدين لتخلق أبنائهم بخلق الاستئذان، والتنبيه على أنه بات لازمًا في كل الأوقات بمجرد بلوغهم.
- **في مجال المناهج الدراسية:**
  - دمج نصوص الاستئذان وآدابه وفقهه ضمن المنهج المدرسي.
- **في مجال النشاط التربوي:**
  - تعلم ثقافة الاستئذان وعادة الاستئذان في البيئة

المدرسية، ومن ذلك: استئذان البالغ لأستاذه داخل الفصل عند طلب الكلام، أو تقديم جواب عن سؤال، أو إرادة الخروج من القسم أو الدخول إليه.

- **في المجال الثقافي والإعلامي والتقني:**

  ○ تيسير ثقافة الاستئذان، وإظهار محاسنها ومساوئ غيابها في المجتمع بعمومه، ولدى البالغين على وجه التحديد.

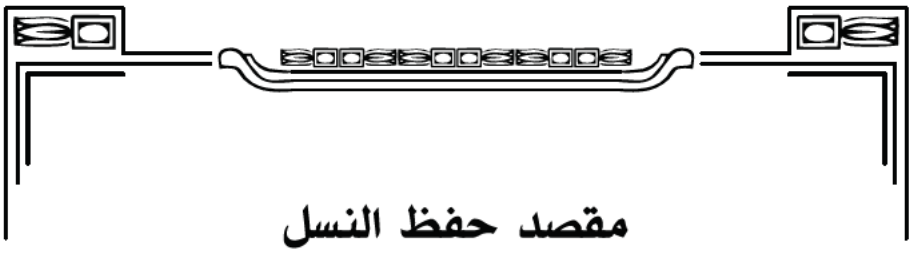

مقصد حفظ النسل

المقصد العام: حفظ النسل.

المقصد الخاص: إكساب الشباب خلق العفة والقدرة على الصمود أمام إغراءات الفاحشة.

المقصد الجزئي: بيان دور الإيمان في تحصين النفس من غلبة الشهوات.

النص الأساسي:

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحْسَنَ مَثْوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [يوسف: ٢٣ ـ ٢٤].

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ

تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفۡسِهِۦۖ قَدۡ شَغَفَهَا حُبًّاۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٣٠﴾﴾ [يوسف: ٣٠].

التوصيف العلمي:

مفتاح الدخول على الجزء الأول هو الآية الثانية؛ إذ سمى النسوة يوسف عليه السلام «فتى»، ومضى معنى أن الفتى هو الشاب حديث العهد بالبلوغ، وهو قول غير واحد من العلماء، قال القرطبي في قوله ـ تعالى ـ ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ﴾ [الكهف: ١٣]: «فتية؛ أي: شباب أحداث»[(١)]، وقال الشوكاني كذلك: «فتية: أي: أحداث شباب»[(٢)]. وكرر العبارة صديق حسن خان: «فتية: أحداث وشبان»[(٣)]. ولعل هذا هو الصواب في سن يوسف وقت افتتان امرأة العزيز به؛ إذ هو المفضي إلى أنه بلغ في بيت العزيز حتى فتنت به

(١) الجامع لأحكام القرآن الكريم، للإمام القرطبي (١٠/ ٣٦٤).

(٢) فتح القدير، للإمام الشوكاني (٣/ ٣٢٣).

(٣) فتح البيان في مقاصد القرآن، لصديق حسن خان القنوجي البخاري، المكتبة العصرية، ١٤١٢هـ، (٨/ ١٨).

زوجه، وهو فتى نضر وسيم حديث عهد بالبلوغ، وذلك أن المحققين من المفسرين على أنه لا بد وأنه ألقي في الجب صغيرًا، وأقل سن ذكروه هو ست سنوات، واستبعدوا قول من قال: إنه ألقي في الجب وهو ابن ثمان عشرة سنة؛ لأنها ليست سنًّا يحصل معها ما حصل بينه وبين إخوته غالبًا.

قال أبو حيان في تفسيره «البحر المحيط»: «والذي يظهر من سياق الأخبار والقصص أن يوسف كان صغيرًا.. ـ ويمضي أبو حيان قائلًا ـ ويدل على أنه كان صغيرًا بحيث لا يدفع نفسه قوله: وأخاف أن يأكله الذئب، ويرتع ويلعب، وإنا له لحافظون، وأخذ السيارة له، وقول الوارد: هذا غلام، وقول العزيز: عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدًا.. ـ ويوضح أبو حيان لزوم صغره بقولهم: «ذهبنا نستبق» ـ يدل على صغر يوسف؛ إذ لو كان ابن ثمان عشرة سنة أو سبع عشرة لكان يستبق معهم[1].

(١) البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان الأندلسي، دار الفكر، =

يصور لنا المقطع القرآني الأول جانبًا من مواجهة يوسف لإغراء امرأة العزيز له بالفاحشة؛ فاستطاع أن يستعصم، كما أقرت بذلك في السورة، ويصون نفسه عن المعصية التي دعته لارتكابها، وجنَّدت لأجل ذلك كل الإمكانيات المتاحة لديها.

والسبب الأساس في عشقها له هو شدة جماله، كما وصفه رسول الله ﷺ: «**أُعطي يوسف شطر الحسن**»[1]. ولوجوده في بيتها وتحت إمرتها.

وعندما غلَّقت الأبواب ودعته إلى نفسها، بلغ الأمر بيوسف أن زالت كل الحواجز التي تمنعه من الوقوع في الإثم، وبلغت عوامل الإغراء أقصى مداها بوضع لباسها أمام عينيه؛ فكيف استطاع مع كل ذلك أن يملك نفسه، ويستميت في الحفاظ على طهره وعفافه؟

= بيروت، لبنان، ١٤١٠هـ، تحقيق: صدقي محمد جميل (٦/ ٢٤٩).

(١) مسند أحمد، ط. الرسالة (٢١/ ٤٤١).

تعددت إجابات التفاسير على هذا السؤال على النحو الآتي:

١ ـ تفسير الامتناع بقوة مراقبة الله ـ تعالى ـ:

يقول البقاعي: «﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ﴾ [يوسف: ٢٤]؛ أي: أوقعت الهم، وهو القصد الثابت والعزم الصادق المتعلق بمواقعته، ولا مانع لها من دين ولا عقل ولا عجز؛ فاشتد طلبها، ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ [يوسف: ٢٤] كما هو شأن الفحول عند توفر الأسباب، ﴿لَوْلَآ أَن رَّءَا﴾ [يوسف: ٢٤]؛ أي: بعين قلبه: ﴿بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾ [يوسف: ٢٤] الذي آتاه إياه من الحكم والعلم؛ أي: لهمّ بها، لكنه لما كان البرهان حاضرًا لديه حضور من يراه بالعين، لم يغطه فور شهوة ولا غلبة هوى، **فلم يهمّ أصلًا مع كونه في غاية الاستعداد لذلك؛ لما آتاه الله من القوة، مع كونه في سن الشباب؛ فلولا المراقبة لهمّ بها لتوفر الدواعي**»[(١)].

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٠/ ٦٣).

٢ ـ إرجاع ثباته في وجه الفتنة إلى قوة الإيمان والعلم بالله والتقوى والصبر عن المعصية:

يقول الشيخ السعدي: «فصبر عن معصية الله، مع وجود الداعي القوي فيه... وقدَّم مراد الله على مراد النفس الأمارة بالسوء، ورأى من برهان ربه ـ وهو ما معه من العلم والإيمان، الموجب لترك كل ما حرم الله ـ ما أوجب له البعد والانكفاف، عن هذه المعصية الكبيرة، و﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٢٣]؛ أي: أعوذ بالله أن أفعل هذا الفعل القبيح؛ لأنه مما يسخط الله ويبعد منه، ولأنه خيانة في حق سيدي الذي أكرم مثواي؛ فلا يليق بي أن أقابله في أهله بأقبح مقابلة، وهذا من أعظم الظلم، والظالم لا يفلح، والحاصل: أنه جعل الموانع له من هذا الفعل تقوى الله، ومراعاة حق سيده الذي أكرمه، وصيانة نفسه عن الظلم الذي لا يفلح من تعاطاه، وكذلك ما منَّ الله عليه من برهان الإيمان الذي في قلبه، يقتضي منه امتثال الأوامر، واجتناب الزواجر، والجامع لذلك كله: أن الله صرف عنه السوء

والفحشاء؛ لأنه من عباده المخلصين له في عباداتهم، الذين أخلصهم الله واختارهم، واختصهم لنفسه، وأسدى عليهم من النعم، وصرف عنهم من المكاره ما كانوا به من خيار خلقه»[1].

٣ ـ التجاء يوسف إلى الاستعاذة بالله والامتناع عن الظلم:

فلما دعته للوقوع عليها زنًا وفاحشة قال: «﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: أعوذ بالله معاذًا مما دعوتني إليه،.. وجملة ﴿إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ﴾ [يوسف: ٢٣] تعليل للامتناع الكائن منه ببعض الأسباب التي هي أقرب إلى فهم امرأة العزيز، والضمير للشأن؛ أي: أن الشأن ربي؛ يعني: العزيز؛ أي: سيدي الذي رباني وأحسن مثواي حيث أمرك بقوله: أكرمي مثواه؛ فكيف أخونه في أهله وأجيبك إلى ما تريدين من ذلك؟ وقال الزجاج: إن الضمير لله ـ سبحانه ـ؛ أي: أن الله ربي تولاني بلطفه فلا أركب ما حرمه. وجملة ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ

(١) تفسير السعدي أو تيسير الكريم الرحمٰن (ص٣٩٦).

﴿ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [يوسف: ٢٣] تعليل آخر للامتناع منه عن إجابتها»[1].

فكل هذه الصفات والأعمال تضافرت في سلوك يوسف عليه السلام؛ فمكَّنته من الخروج منتصرًا من فتنة الشهوة الجنسية، كما نجَّاه الله من غيرها من الفتن الأخرى التي واجهها في شبابه.

التوصيف التربوي:

يمكن توظيف دور الإيمان في تحقيق عفة النفس، وصونها عن الانزلاق إلى مواقعة الفواحش، من خلال التركيز في هذه الواقعة بين يوسف وامرأة العزيز على الأمور الآتية:

١ ـ معرفة عوامل الفتنة التي واجهها يوسف عليه السلام:

فالعوامل التي أحاطت بيوسف كلها كانت باعثة بقوة

(١) فتح القدير، للشوكاني (٣/ ٢١).

على الخطيئة، أهمها يرجع إلى مرحلة الشباب؛ حيث كان فتى حديث العهد ببلوغ، وكذا امرأة العزيز، وعيشهما معًا، وتوالي الاحتكاك اليومي بينهما، مما يقوي ميل كل منهما للآخر، وتمني الاستمتاع به، وهي حالة تهجم على قلب الجنسين دون استئذان أو إمهال، وينشأ بوجودها اشتياق الذكر للأنثى، واشتياق الأنثى للذكر؛ فيبدأ انطلاقًا من حصولها التفكير في طريقة الاستجابة للرغبة المتزايدة في الوصال بينهما، وإشباع الشهوة الجنسية بالزواج أو بالسفاح، إذا تعذرت أسباب الحلال، وضعف وازع الإيمان بالله ومراقبته في القلب.

وفي الغالب فإن هذا الحدث لم يكن مفاجئًا ليوسف، يقول سيد قطب: «ولسنِّه وسنّ المرأة التي يعيش معها تحت سقف واحد كل هذه المدة قيمة في تقدير مدى الفتنة وخطورة المحنة والصمود لها هذا الأمد الطويل. أما هذه المرة؛ فلو كانت وحدها وكانت مفاجأة بلا تمهيد من إغراء

طويل، لما كان عسيرًا أن يصمد لها يوسف، وبخاصة أنه هو مطلوب فيها لا طالب»[1].

ثم إن المرأة بالغت في تغليق الأبواب؛ فلم يبق شيء يمكن أن يعصمه من الزلل إلا إيمانه القوي بالله، وعظم رغبته في رضاه، وشدة خوفه من سخطه؛ فاستعصم فعصمه الله، وملكه قوة وقف بها في إباء وشموخ لا نظير لهما، في وجه الإغراءات الداهمة، التي تنهار إزاءها مقاومة النفوس العفيفة، إلا ما رحم الله.

وهنا يليق بالشاب حين تعرض عليه الفتنة أن يتفكر ويعلم أنه سيعصمه الله ـ تعالى ـ من الوقوع في الفاحشة إذا توفر لديه رصيد سابق من صلة بالله ـ تعالى ـ، وإعمال للعقل والفطنة، ويجلل ذلك حفظ الله ـ تعالى ـ له من الوقوع كما يحفظ أولياءه الذين يحبهم ويحبونه!

---

(١) في ظلال القرآن (٤/ ١٩٨٠)، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: ١٣٨٥هـ)، الناشر: دار الشروق، بيروت، القاهرة، الطبعة السابعة عشر، ١٤١٢هـ.

٢ ـ إبراز دور الإيمان في مواجهة الشهوات:

تُعَدُّ مراودة امرأة العزيز ليوسف عليه السلام، ونجاحه في الصمود في وجه إغراءاتها وتهديداتها، دليلًا على ما يمتلكه الشباب من قدرات خارقة، للثبات أمام أشد أنواع الفتن ضراوة، وهي الشهوة الجنسية، بحيث يتمكن بقوة إيمانه، من مواجهة سلطان الشهوات ومختلف مغريات الفتن، حتى عندما تبلغ درجة لا مزيد عليها من حدة الجاذبية والضغط الشديد على النفس، وذلك كان حال يوسف عليه السلام، الذي استطاع مواجهة إغراءات امرأة العزيز، حتى صرحت الآيات **أنه لم يهمَّ بها أصلًا حتى مجرد الهمِّ؛ لعظم حفظ الله ـ تعالى ـ له.**

اقتراحات إعمال المقصد:

يمكن أن يقترح لإعمال هذه المقاصد الإجراءات الآتية:

- **في المجال الأسري والاجتماعي:**
  - مبادرة الأسرة إلى ترسيخ عقيدة الإيمان بالله

ومراقبته في السر والعلن في قلوب شبابها وفتياتها عند بلوغهم، وبناء العلاقة بالله ـ تعالى ـ والطمع في نعيمه والخوف من عقابه وعذابه.

- **في مجال المناهج الدراسية:**

○ دمج قصة يوسف عليه السلام ضمن النصوص التي يدرسها الطلاب في المرحلة الثانوية والجامعية، مع مدارستها معهم.

- **في مجال النشاط التربوي:**

○ عرض قصة يوسف عليه السلام في البرامج والأنشطة الطلابية والرحلات والمسابقات.

- **في المجال الثقافي والإعلامي والتقني:**

○ تقديم الفوائد النفسية والاجتماعية لكبح الشهوة خوفًا من الله ـ تعالى ـ في قالب جذاب، من خلال قصة يوسف عليه السلام عبر وسائل الإعلام.

○ عرض صور الأمراض الجسدية والنفسية والاجتماعية لانتشار الفاحشة، مع أمثلة واقعية وصور ولقاءات وتقارير مقنعة للشباب والفتيات.

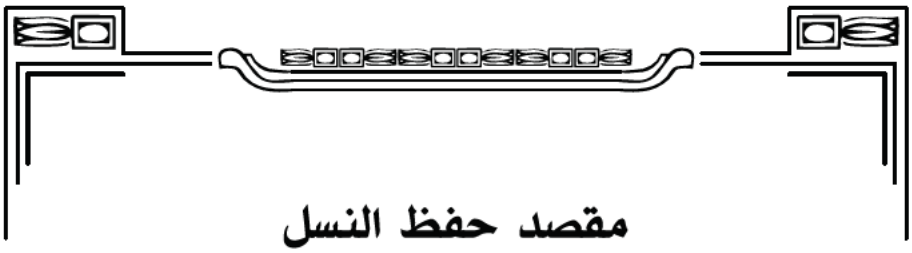

مقصد حفظ النسل

المقصد العام: حفظ النسل.

المقصد الخاص: إكساب الشباب خلق العفة والقدرة على الصمود أمام إغراءات الفاحشة.

المقصد الجزئي: الإرشاد إلى الاستعفاف عند تعذر النكاح الشرعي.

النص الأساسي:

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [النور: ٣٣].

التوصيف العلمي:

العفة من عفَّ: كفَّ عما لا يحل ولا يجُمل من قول أو فعل. والعفّة: ترك الشهوات من كل شيء. والتعفف: التنزه عن السؤال. والعفة في الاصطلاح: «هيئة للقوة

الشهوانية، متوسطة بين الفجور الذي هو إفراط هذه القوة، والخمود الذي هو تفريطها»[1]. واستعف طلب أن يكون عفيفًا[2].

وبهذا تكون العفة بترك ما حرم الله ـ تعالى ـ، وليست بترك ما أحل الله ﷻ؛ فالتبتل والرهبانية في الامتناع عن الشهوة الحلال في الزواج ليس من العفة.

وبهذا نفهم ما ورد عن أنس بن مالك ﷺ يقول: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ فلما أُخبروا؛ كأنهم تقالُّوها؛ فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟ قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبدًا، وقال آخر: أنا

(١) موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة، المؤلف: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مصر، أعده للشاملة: عويسيان التميمي البصري، [الكتاب مرقم آليًّا] (ص٤٥٢)، بترقيم الشاملة آليًّا.

(٢) انظر: تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ١٨١).

أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدًا. فجاء رسول الله ﷺ إليهم فقال: «**أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء؛ فمن رغب عن سُنَّتي فليس مني**»[(١)]. وقال ﷺ: «**لا رهبانية في الإسلام**»[(٢)].

لذلك دعا الله ـ تعالى ـ في هذه الآية أولئك الذين لا يملكون القدرة على الإنفاق على الزوجة للاستعفاف إلى حين يوسع الله عليهم في الرزق والعيش. قال الكيا الهراسي: «أمرهم بالتعفف ـ عند تعذر النكاح ـ عما حرمه الله ـ تعالى ـ، وذلك على الوجوب.. وفيه دليل على أن إباحة الاستمتاع موقوفة على النكاح. ولذلك يحرم ما

(١) مشكاة المصابيح، المؤلف: محمد بن عبد الله الخطيب العمري، أبو عبد الله، ولي الدين، التبريزي (المتوفى: ٧٤١هـ)، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٥م، (ص١/ ٥٢).

(٢) موسوعة الألباني في العقيدة (٢/ ١١١).

عداه، . . وفيه دليل على بطلان نكاح المتعة، ودليل على تحريم الاستمناء»[1].

فممارسة التعفف مرتبطة بوجود رغبة في إشباع الشهوة الجنسية في إطار المباح، مع تعذر النكاح المشروع بسبب انعدام المال، الذي يقدر به على نفقات الزواج، وتأمين ضروريات بيت الزوجية، أو لأي سبب آخر كما بيَّن ابن عطية فقال: «فأمر الله ـ تعالى ـ في هذه الآية كل من يتعذر عليه النكاح ولا يجده بأي وجه تعذر أن يستعف، ثم لما كان أغلب الموانع على النكاح عدم المال، وعد بالإغناء من فضله؛ فعلى هذا التأويل يعم الأمر بالاستعفاف كل من تعذر عليه النكاح بأي وجه تعذر»[2].

وتعتبر فترة البلوغ وبداية الشباب من أصعب المراحل

(١) انظر: أحكام القرآن، للكيا الهراسي (٤/ ٣١٤).

(٢) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ١٨١).

التي يجتازها الشباب؛ حيث تلتهب لديه الشهوة الجنسية، التي تدعو بإلحاح لإشباعها، في حين تكون غالبًا إمكانيات ذلك في إطار الضوابط الشرعية غير متوفرة، وتحتاج مزيدًا من الوقت؛ كإنهاء الدراسة، أو العثور على عمل، أو استكمال إعداد مستلزمات الحياة الزوجية، مما تمتد معه المعاناة مع توافر أسباب الإشباعات الآثمة، وتعاظم إغراءاتها، بحيث يتعين نهج التعفف مخرجًا سليمًا ووحيدًا من الأخطار المحدقة بالبالغ.

يقول الشيخ الشعراوي في هذا الصدد: «وقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ﴾ [النور: ٣٣]؛ يعني: يحاول العفاف ويطلبه، ويبحث عن أسبابه، يجاهد أن يكون عفيفًا، وأول أسباب العفاف أن يغضَّ بصره حين يرى، فلا يوجد له مُهيِّج ومثير؛ فإنْ وجد في نفسه فُتوة وقوة فعليه أن يُلجمها ويُضعِفها بالوسائل الشرعية، كما قال النبي ﷺ: «**يا معشر الشباب، مَنِ استطاع منكم الباءة** ـ يعني: نفقات الحياة

الزوجية ـ **فليتزوج، ومن لم يجد فعليه بالصوم؛ فإنه له وجاء**»[1].

والصوم يعمل على انكسار هذه الشهوة، ويُهدِّئ من شراسة الغريزة؛ ذلك لأنه يأكل فقط ما يقيم أَوْدَه، ولا يبقى في بدنه ما يثير الشهوة، كما جاء في الحديث الشريف: «**بحسب ابن آدم لقيمات يُقِمْنَ صُلْبه...**»[2]. أو: أن يُفرِّغ الشاب نفسه للعمل النافع المفيد الذي يشغله ويستنفد جَهْده وطاقته، التي إن لم تصرف في الخير صرفت في الشر، وبالعمل يثبت الشاب ذاته، ويثق بنفسه، ويكتسب الحلال الذي يُشجِّعه مع الأيام على الزواج وتحمُّل مسؤولياته»[3].

---

(١) صحيح البخاري (٣/ ٢٦) رقم الحديث (١٩٠٥).

(٢) الجامع الصحيح للسنن والمسانيد، المؤلف: صهيب عبد الجبار، تاريخ النشر: ١٥ ـ ٨ ـ ٢٠١٤م، [الكتاب غير مطبوع] (ص١٢/ ٢٠٧)، وصححه الألباني في الإرواء، ١٩٨٣م، والصحيحة (ص٢٢٩).

(٣) تفسير الشعراوي (١٦/ ١٠٢٦٤ ـ ١٠٢٦٥).

والاستعفاف الصحيح يتحقق على مستويين اثنين:

أولهما: على مستوى تصور العلاقة الجنسية، باعتبارها عبادة وسُنَّة كونية وشرعية، يتحقق بممارستها في حدود الشرع راحة النفس وسعادتها، وحفظ النسل وتكثير سواد الأمة، كما تكون ممارستها خارج دائرة الزواج منشأ شقاء وتعاسة، وتوتر في العلاقة بين الجنسين، وإهدار مقصد حفظ النسل باستمراره وصحته وسعادته.

ثانيهما: التعفف عن ممارسة الجنس خارج العقد الشرعي، والاحتراز مما يقرب إلى ارتكاب فاحشة الزنا؛ من نظر واختلاط وكلام واحتكاك.. تنفيذًا لمبدإ التقوى والاحتراز الذي أوصى به الله في كتابه: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [الأنعام: ١٥١]، ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ [الإسراء: ٣٢].

فقوة التجاذب بين الجنسين، تجعل أهم وسائل الإعفاف عن السقوط في الفاحشة هو عدم سلوك أي من

الطرق المؤدية إليها، ومنها النظر إلى ما لا يحل من النساء، الخلوة، الاختلاط، الخضوع بالقول.

التوصيف التربوي:

تعتبر العفة مجالًا واسعًا لتحقيق أحد أهم المقاصد العامة للشريعة، وهو التقوى التي يُعَدُّ الامتناع والاجتناب وسيلتيها الأكثر فعالية، «ولقد ابتلي الإنسان في هذه الحياة بأوامر الدين، التي غالبًا ما تحتوي على مشاق لا حظ للنفس في الميل إليها، بل تحتاج إلى تصميم وعزم، واقتحام الصعاب، لتنفيذها والمواظبة على فعلها، وابتلي ـ أيضًا ـ بمنهيات كثيرًا ما تتعلق بها النفس، وتجذبها نوازع الشهوة إليها. فلا يكون خلاصها إزاء الأوامر إلا بحمل النفس على فعلها، وإزاء النواهي إلا بحمل النفس على تركها، بحيث يظل مسلكها الصحيح في السير على الصراط المستقيم، هو مخالفة هوى النفس بالإقبال حين تدبر، والإدبار حين تقدم»[1].

(١) الصيام والتربية على التقوى، لعبد السلام الأحمر، مطبعة طوب بريس، الرباط، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م، (ص٢٣).

وضغوط الشهوة من أهم ما يرزح الشباب عند بلوغه بالذات تحت نيره، ولهذا كان للسيرة النبوية تطبيقات تمثل حلولًا ناجعة لويلات لم تفلح كثير من التوجهات أن توجد لها علاجًا ناجعًا. وفي الحقيقة ظهر ضغط الفطرة كثيرًا في حياة شباب الصحابة، حتى خافوا من ضغوطها على ما معهم من التقوى؛ فمنهم من أراد الاتجاه نحو التبتل، ومنهم من استأذن في الخصاء، ومنهم من جنح نحو ترك التفكير في الزواج أصلًا، ومنهم من طلب الإذن في الانقطاع للتعبد بطول القيام ومواصلة الصيام. إلا أن النبي ﷺ لم يوافقهم في ذلك بشيء، بل أرشد إلى ما فيه الهدى والتحصين لهم من ويلات ضغوط الشهوة، ومن ذلك:

أ ـ التحصين بالزواج والصيام:

وهو من تدابير السيرة النبوية وتطبيقاتها لتحصين الشباب ضد شهوته؛ فعن عبد الرحمٰن بن يزيد قال: دخلت مع علقمة والأسود على عبد الله فقال عبد الله: كنا مع

النبي ﷺ شبابًا لا نجد شيئًا. فقال لنا رسول الله ﷺ: «**يا معشر الشباب، من استطاع الباءة فليتزوج؛ فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم؛ فإنه له وجاء**»[1]. وفي لفظ البزار قال الراوي: «وكنا فتية عزابًا»[2].

ب ـ تحصينه بإبعاده عما لا يطيق الصبر عليه:

وهو من التدابير المحصنة والواقية من ويلات الشهوة، ومن أمثلتها ما جاء عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: كنا عند النبي ﷺ فجاء شاب فقال: يا رسول الله، أقبِّل وأنا صائم. قال: «**لا**». فجاء شيخ فقال: أقبل وأنا صائم، قال: «**نعم**».

قال: فنظر بعضنا إلى بعض؛ فقال رسول الله ﷺ: «**قد علمت لم نظر بعضكم إلى بعض، إن الشيخ**

(١) رواه البخاري (٦/ ٣٦٠).

(٢) رواه البزار في مسنده (٢/ ١٨).

يملك نفسه»[1].

ونستفيد من الموقف منهاجًا في إبعاد الشباب عما لا يطيق الصبر عليه، وفي هذا الصدد يقول أبو الفرج ابن الجوزي: «**ومن المخاطر: ترك الولد البالغ بين الجواري، ومعلوم أن قوة الشهوة وجهل الصبي ينسيان مقدار الحرمة والتحريم؛ فهذه أصول ينبغي أن يداوَى بدوائها، ولا تهمل؛ فإنها تجر أمورًا صعبة**»[2].

ج ـ تحصينه بفتح نوافذ الأمل له:

فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: جاء شاب إلى رسول الله ﷺ فقال: أتأذن لي في الخصاء؟ فقال: «**صم وسل الله من فضله**»[3]. فلا يكفي الشباب أن يقال لهم هذا

(١) رواه أحمد (١١/ ٣٥١). وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١/ ٧٢٦).

(٢) ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمٰن (١٤٢٤هـ)، الطب الروحاني (١٣٧).

(٣) رواه أحمد (٢٣/ ٢٨٣). وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٤/ ٣٢٩).

حلال وهذا حرام، بل لا بد من إقناعه أو فتح نوافذ الأمل في اتجاه آخر.

د ـ التحصين بالتذكير بالقدَر وقرب الفرج من الله ـ تعالى ـ:

فعن أبى هريرة ﷺ قال: قلت: يا رسول الله، إني رجل شاب، وأنا أخاف على نفسي العنت، ولا أجد ما أتزوج به النساء؛ فسكت عني. ثم قلت مثل ذلك؛ فسكت عني. ثم قلت مثل ذلك؛ فسكت عني. ثم قلت مثل ذلك؛ فقال النبي ﷺ: **«يا أبا هريرة، جف القلم بما أنت لاق؛ فاختص على ذلك أو ذر»**[1].

هـ ـ تحصينه من نزغات الشيطان بإبعاده عن أسبابها:

جاء في حديث ـ جابر ﷺ ـ أن رسول الله ﷺ أردف خلفه الفضل بن العباس ﷺ، وجاءته امرأة تسأله؛ فقالت له: يا رسول الله، إن فريضة الله على عباده الحج أدركت أبي شيخًا كبيرًا لا يستطيع أن يثبت على الراحلة، أفأحج

(١) رواه البخاري (٦/ ٣٦٤).

عنه؟ قال: «**نعم**». فجعل الفضل ينظر إليها وتنظر إليه، **فجعل ﷺ يصرف وجه الفضل إلى الشق الآخر**. وفي لفظ آخر: فوضع ﷺ يده على وجه الفضل؛ فحوَّل وجهه إلى الشق الآخر، وفي لفظ آخر: أنه ﷺ لوى عنق الفضل؛ فقال له أبوه العباس رضي الله عنهما: يا رسول الله، لويت عنق ابن عمك. قال: «**رأيت شابًّا وشابة فلم آمن عليهما الشيطان**»[1].

كل ذلك يريد به ﷺ تحصين هذا الشاب وتلك الشابة أن لا يسبق الشيطان إلى قلبيهما فيأمرهما بأمر سوء!![2].

ويمكن وضع جملة من القضايا التربوية الكفيلة بأن

---

(١) انظر: السيرة الحلبية (٣/٣٢٦)، وانظر: السيرة النبوية، لابن كثير (٤/٣٦٨).

(٢) ورقة بعنوان: استثمار السيرة النبوية في بناء العلوم النفسية «التحصين النفسي للشباب أنموذجًا»، لعبد الله الطارقي، منشورة ضمن أوراق عمل المؤتمر الدولي الثاني للباحثين في السيرة النبوية، مؤسسة مبدع، فاس، ٢٠١٥م، (ص١٤).

تحقق مقصد استعفاف الشباب حديث العهد بالبلوغ، من خلال النصوص، كما يأتي:

١ ـ استعظام حرمة فاحشة الزنا في النفس واستقباح فعلها:

تسعى التربية الإسلامية إلى استعظام أمر فعل الأوامر، كما فعل المنهيات الشرعية، وذلك بجعل النفس مدركة لحجم الأجر، الذي يدخر لها عند الله، حال الائتمار بأوامره، ولحجم الوزر الذي تبوء بحمله عند اقتحامها لمنهياته، سيما ما كان منها كبيرة من الكبائر مثل: الزنا. وذلك ما يستشف من جميع سياقات النصوص الشرعية، الناهية عن المعصيات والآثام، ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ [الإسراء: ٣٢]، وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، أي الذنب أعظم؟ قال: «**أن تجعل لله ندًّا وهو خلقك**». فقلت: ثم أي؟ قال: «**أن تزاني حليلة جارك**»[(١)].

(١) رواه أبو داود، وصححه الألباني.

كما سمى رسول الله ﷺ الفواحش، وعلى رأسها الزنا، قاذورات؛ لتنفير النفس منها نفورها من القاذورات؛ فقال ﷺ: «**أيها الناس، قد آن لكم أن تنتهوا عن حدود الله، من أصاب من هذه القاذورات شيئًا؛ فليستتر بستر الله؛ فإنه من يبدي لنا صفحته، نقم عليه كتاب الله**»[1].

٢ ـ السمو بالنفس عن الدنايا والفواحش:

من الأهداف السامية للتربية الإسلامية تحقيق (السمو بالنفس) عن مجرد الميل إلى الدنايا والفواحش، بله الدخول في فعلها؛ فهو يبني الإلزام السلوكي على مرتكزين:

«**الأول**: يرجع إلى العناصر الخارجية، مثل: الوحي، والمجتمع، وقوانين الطبيعة.

والثاني: يرجع إلى العناصر الداخلية، ويشمل العقل والضمير الخلقي، هذه العناصر مجتمعة تشكل أقوى سلطة إلزامية في الأخلاق الإسلامية. هذا إلى أن الإسلام قد

(١) موطأ مالك، ت: عبد الباقي (٢/ ٨٢٥).

ضاعف هذه القوة بما وعد به من الجزاء الجزيل للتمسك بالقيم الأخلاقية، والعقاب الشديد للمنحرف والمستهتر، ثم إنه وجَّه الإنسان بصورة مستمرة نحو (السمو)، بإثارة الدوافع والاستعدادات المغروسة في الطبيعة البشرية، لتتغلب العناصر الإنسانية الطيبة على الغرائز الحيوانية الجامحة»[1].

ولقد ترسخ في العرف العربي في الجاهلية أن الحرة لا تزني؛ لأنها تعتبر الزنا مخلًّا بحريتها وشرفها وعلو مكانتها، والمسلم العابد لله ـ تعالى ـ أولى بأن يبني تعاليه عن الفواحش على أساس أن أفضل ما يعلي درجته وقدره عند الله ـ تعالى ـ، ويجعله أهلًا لتكريمه، مراعاته لحدود العلي العظيم، والوقوف دونها.

(١) علم الأخلاق الإسلامية، المؤلف: مقداد يالجن محمد علي، الناشر: دار عالم الكتب للطباعة والنشر الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م، (ص٢٥٠).

٣ ـ إدراك قيمة مجاهدة النفس واستشعار لذتها في مرحلة الشباب:

مما يستعان عليه في ترويض النفس على المجاهدة؛ لإنجاز الطاعات، والاستعفاف عن المعاصي، طلب التلذذ بضبط النفس عن الآثام والمنكرات، وتذكيرها حينًا بعد حين بسيرها على نهج العفة، وابتغاء رضا الله بمخالفة هوى النفس، وإيثار اللذة الدائمة بالحور العين في الجنة، على لذة الزنا العابرة في الدنيا.

قال ابن القيم كلامًا يناسب الشباب أول بلوغهم: «السالك في أول الأمر يجد تعب التكاليف، ومشقة العمل؛ لعدم أُنْس قلبه بمعبوده؛ فإذا حصل للقلب روح الأنس؛ زالت عنه تلك التكاليف والمشاق؛ فصارت (أي: الصلاة) قرة عين له، وقوة ولذة»[(١)].

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، =

وقال ثابت البناني: «كابدت الصلاة عشرين سنة، وتنعمت بها عشرين سنة»[1].

وقال أبو يزيد: «سُقْتُ نفسي إلى الله وهي تبكي؛ فما زلت أسوقها حتى انساقت إليه وهي تضحك»[2].

إنها الحياة الطيبة التي وعد بها الله المستقيمين على

= الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، (ص٢/ ٣٧٣)، وفي الحديث: «**حبب إلي من الدنيا: النساء والطيب، وجعلت قرة عيني في الصلاة**». الجامع الصحيح للسنن والمسانيد (٢/ ٤٠)، وصحيح الجامع (٣١٢٤).

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، (المتوفى: ٤٣٠هـ)، الناشر: السعادة، بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

ثم صورتها عدة دور منها: دار الكتاب العربي، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، دار الكتب العلمية، بيروت (طبعة ١٤٠٩هـ، بدون تحقيق)، (٢/ ٣٢١)، وصفة الصفوة (٣/ ٢٦٠).

(٢) طريق الهجرتين (١/ ٤٧٤).

هديه: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل: ٩٧]، وهي حياة ربما تلذذ بها من يجاهد نفسه لمنعها من الوقوع في الفاحشة، أكثر ممن يتلذذ بالحياة الزوجية نفسها، وذلك متوقف فقط على حصول اليقين بأن اللذة الدائمة رهينة بامتلاك النفس الطائعة الراضية المسرورة بتقربها إلى الله والأنس به، وليس بتلبية رغبات الجسد المادية المحدودة.

اقتراحات إعمال المقصد:

يمكن أن يقترح لإعمال هذه المقاصد الإجراءات الآتية:

- **في المجال الأسري والاجتماعي:**
  - قيام الأسرة بالتعريف بشناعة عموم الفواحش والكبائر، ومنها الزنا، مع بيان أضراره الماحقة على صحة الفرد والجماعة.

- **في مجال المناهج الدراسية:**

○ دمج نصوص الحض على العفة ضمن المناهج التعليمية.

- **في مجال النشاط التربوي:**

○ تعريف الناشئة بالأسباب المعينة على العفة، وتدريبهم عليها، ذكروا وإناثًا، ضمن الأنشطة اللاصفية والمسابقات المتنوعة.

- **في المجال الثقافي والإعلامي والتقني:**

○ حضُّ الشباب حديث العهد بالبلوغ على العفة، من خلال تقديم برامج إعلامية، تبين فظاعة جريمة الزنا، وزيادة تبشيعها في أذهانهم.ذ

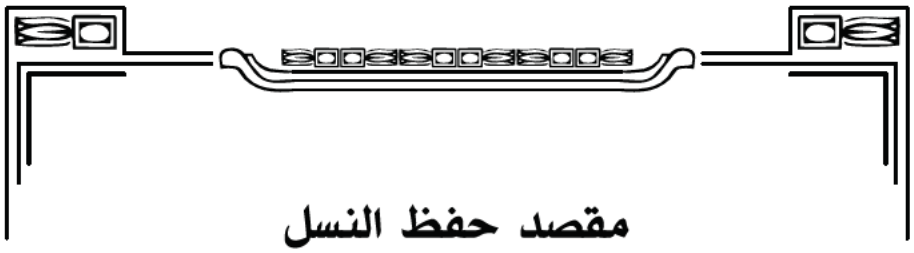

مقصد حفظ النسل

المقصد العام: حفظ النسل.

المقصد الخاص: إكساب الشباب خلق العفة والقدرة على الصمود أمام إغراءات الفاحشة.

المقصد الجزئي: التدريب على غض البصر عن النظر إلى محاسن النساء.

النص الأساسي:

روى البخاري عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: «أردف رسول الله ﷺ الفضل بن عباس يوم النحر خلفه على عجز راحلته، وكان الفضل رجلًا وضيئًا؛ فوقف النبي ﷺ للناس يفتيهم، وأقبلت امرأة من خثعم وضيئة، تستفتي رسول الله ﷺ؛ فطفق الفضل ينظر إليها، وأعجبه حسنها؛ فالتفت النبي ﷺ والفضل ينظر إليها؛ فأخلف بيده فأخذ

بذقن الفضل؛ فعدل وجهه عن النظر إليها...»[1].

وفي رواية أحمد وأبي يعلى: «فجعل الفتى يلاحظ النساء وينظر إليهن. قال: وجعل رسول الله ﷺ يصرف وجهه بيده من خلفه مرارًا. قال: وجعل الفتى يلاحظ إليهن. قال: فقال له رسول الله ﷺ: **ابن أخي، إن هذا يوم من ملك فيه سمعه وبصره ولسانه غفر له**»[2].

التوصيف العلمي:

صرف الرسول ﷺ شابًّا كان رديفه في يوم عرفة عن النظر إلى النساء، وذكره بأن من ملك سمعه وبصره ولسانه في ذلك اليوم غفر الله له. وهذا الشاب هو الفضل بن عباس ـ كما تقدم ـ فالفضل وهو في مرحلة الشباب، وفي الرواية الثانية بأنه فتى، دليل على كونه في المرحلة الأولى

(١) صحيح البخاري (٨/ ٥١).

(٢) رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني في الكبير، ورجال أحمد ثقات، تقدم مثله، وسنده جيد. مجمع الزوائد (٣/ ٢٥١).

من الشباب؛ إذ الفتى حديث العهد بالبلوغ من الشباب ـ كما مضى قريبًا ـ.

وجد الفتى الوضيء نفسه مشدودًا إلى جمال المرأة، التي كانت كاشفة لوجهها؛ فكان صرف الرسول ﷺ لوجهه عن الاسترسال في النظر إليها، تعليمًا له ولغيره بحرمة إمعان النظر إلى النساء.

وليس أسهل على الشباب والرجال عمومًا، من إرسال أبصارهم تلقاء النساء عامّة، والشابات الجميلات منهن خاصّة، الأمر الذي اقتضى توجيهًا مركزًا من الشرع؛ لضبط البصر والدعوة للغض منه.

قال ابن بطال: «وفي نظر الفضل إلى المرأة مغالبة طباع البشر لابن آدم، وضعفه عما ركب فيه من شهوات النساء»[1].

(١) شرح صحيح البخاري، لابن بطال (٤/ ١٨٧).

لذلك؛ أمر الله الرجال والنساء بالغض من أبصارهم في قوله ـ تعالى ـ: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ﴾ [النور: ٣٠، ٣١].

والقدرة على غض البصر أمر ينطوي على صعوبة لا يتغلب عليها إلا بقوة الإيمان، وصدق العزيمة، وترويض النفس على ذلك، ومجاهدتها عليه.

ومعلوم أن الذكور مطالبون بغض البصر أكثر من الإناث؛ اعتبارًا لشدة افتتانهم برؤية جمال الأنوثة، ولذلك بدأت الآية بنهي الرجال قبل النساء، كما أن الرسول ﷺ في هذا الحديث منع الشاب مرارًا، «ولم ينقل أنه نهى المرأة عن النظر إليه، وكان الفضل وسيمًا؛ أي: جميلًا، ويحتمل أن يكون الشارع اجتزى بمنع الفضل لما رأى أنها تعلم بذلك منع نظرها إليه؛ لأن حكمهما واحد.

وقال الداودي: فيه احتمال أن ليس على النساء غض أبصارهن عن وجوه الرجال، إنما يغضضن عورتهن، وقال بعض المالكية: ليس على المرأة تغطية وجهها لهذا الحديث، وإنما على الرجل غض بصره»[1].

وإذا كان شكل الرجل لا يبلغ من فتنة المرأة به درجة افتتان الرجل بجمالها ومحاسنها؛ فإن إدامة النظر للشاب الوسيم قد يثير شهوتها؛ فيكون أزكى لها وأسلم أن تغض بصرها.

قال الإمام النووي: «ولأن الفتنة مشتركة، وكما يخاف الافتتان بها تخاف الافتتان به، ويدل عليه من السُّنَّة حديث نبهان مولى أم سلمة، عن أم سلمة أنها كانت هي وميمونة عند النبي ﷺ فدخل ابن أم مكتوم؛ فقال النبي ﷺ: «**احتجبا منه**». فقالتا: إنه أعمى لا يبصر. فقال النبي ﷺ:

(١) التوضيح لشرح الجامع الصحيح (١١/١٦).

«**أفعمياوان أنتما فليس تبصرانه**»[1].

ولقد أمر الله بغض البصر قبل حفظ الفرج؛ لتوقف حصول حفظ الفرج على حفظ البصر؛ لأن «النظر أصل عامة الحوادث التي تصيب الإنسان؛ فالنظرة تولد خطرة، ثم تولد الخطرة فكرة، ثم تولد الفكرة شهوة، ثم تولد الشهوة إرادة، ثم تقوى فتصير عزيمة جازمة؛ فيقع الفعل ولا بد، ما لم يمنع منه مانع، وفي هذا قيل: الصبر على غض البصر أيسر من الصبر على ألم ما بعده»[2]. ومن رحمة الشريعة بالمكلفين، أنها كلما حرمت عملًا حرمت ما يؤدي إليه، كما أنها إذا أوجبته أوجبت ما يعين على القيام به، وهذا ما

(١) شرح النووي على مسلم (١٠/٩٦). قال النووي: وهذا الحديث حديث حسن رواه أبو داود (٤/٦٤)، والترمذي (٥/٢٠١) وغيرهما. قال الترمذي: هو حديث حسن.

(٢) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، أو الداء والدواء، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار المعرفة، المغرب، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، (ص١٥٣).

يميزها عن غيرها من التشريعات البشرية، التي تجرم الفعل وتترك الذرائع إلى ارتكابه مفتوحة.

فنجد الشرع الحكيم يعتبر النظر بشهوة إلى الجنس الآخر زنا تسهل ممارسته واعتياده إذا ساير المرء هواه، ولم يستحضر مسؤوليته عن استعمال بصره؛ ففي الحديث: «**إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا، أدرك ذلك لا محالة؛ فزنا العينين النظر، وزنا اللسان النطق، والنفس تمنى وتشتهي، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه**»[1].

وأكثر من يخشى عليه الوقوع في هذا النوع من الزنا الشباب عندما يختلط الفتيان بالفتيات في المدارس والشوارع والمنتزهات؛ فيطيل كل منهما النظر إلى الآخر، ظانين بأن لا حرج عليهم في ذلك».

التوصيف التربوي:

يعتبر التحكم في النظر، والتدريب على غضه، مدخلًا

(١) صحيح مسلم (٤/٢٠٤٦).

واسعًا للتربية على اكتساب أخلاق عالية، وتنمية قدرات نفسية أساسية. وفيما يأتي توجيهات تربوية عملية لامتلاك القدرة على غض البصر:

١ ـ نفي استحالة غض البصر:

يتذرَّع كثير من الشباب في ترك غض البصر بذريعة أنه مطلب عسير، ويكاد يكون مستحيلًا، في ظل استعار الشهوة لدى الفتيان والفتيات في هذه المرحلة، وكثرة الاختلاط بين الجنسين؛ مما يفرض التحادث بينهما، وتكرار النظر، مع وجود صور الفتنة في هذا الزمان.

وتفنيد هذا الاعتقاد لدى الشباب خطوة أساسية على طريق ممارسة غض البصر، ويكون بما يأتي:

١ ـ العمل على ترسيخ الاعتقاد بأن الله ـ تعالى ـ أرحم من أن يكلف الناس ما لا يطيقون.

٢ ـ كل التكاليف الشرعية مشتملة على قدر من المشقة، ولكنها لا تتجاوز دائرة الوسع لتدخل في نطاق الاستحالة.

٣ ـ عند وجود إرادة الفعل تتدنى مشقته إلى حد تتيسر معه ممارسته، وعند ضعفها أو انعدامها تعظم المشقة، إلى حد جعل الممارسة مستعصية جدًّا أو مستحيلة.

٤ ـ كل التكاليف تبدأ صعبة في أول الممارسة، ولكنها مع تواصلها والإصرار عليها تتراجع الصعوبة إلى أدنى مستوى؛ وذلك استحقاقًا لتوفيق الله وعونه، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

فإذا صدق القلب في طلب العفة أدركه لطف الله وتأييده فصار عفيفًا، قال رسول الله ﷺ: «... **ومن يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله، ومن يتصبر يصبره الله**»[(١)].

٢ ـ تدريب النفس على ممارسة التقوى:

إبراز كون التحكم في النظر خير وسيلة للتدريب على إكساب النفس قدرة كبيرة على ضبط الشهوات، ولجم

(١) رواه البخاري (١٤٠٠).

الميول الجامحة واندفاعات الهوى؛ فمن يستطيع صرف بصره عن المحارم، يستطيع ممارسة التقوى واجتناب الفواحش والمنكرات والدنايا، إذ ليس أشد على النفس من غض البصر؛ فمن نجح فيه سهل عليه كبح نفسه عن اقتراف ما هو أكبر من مجرد النظر.

ومن الوسائل الفعالة للتدريب على غض البصر نذكر ما يأتي:

١ ـ غض البصر عن صور النساء في الإنترنت والتلفزيون والسينما واللوحات الإعلانية والمجلات.

٢ ـ صرف النظر كلية عن الجهة التي يمكن فيها وقوع البصر على محاسن النساء، المحجبات والمتبرجات على السواء.

٣ ـ الاكتفاء بالنظرة الخاطفة والسريعة الأولى عن النظرة الطويلة والمتكررة، وصرف النفس حين استمراء متعة النظر.

٤ ـ اجتناب استراق النظر إلى محاسن الأنثى؛ أي: ﴿خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ﴾، في الشارع وحال الاختلاط بين الجنسين.

٥ ـ الاكتفاء بنظرة أولى قصيرة ما أمكن، وعدم شفعها بثانية أو أكثر إلا لضرورة ثابتة، كما علَّمنا ذلك رسول الله ﷺ بقوله لعلي رضي الله عنه: «**يا علي، لا تتبع النظرة النظرة؛ فإن لك الأولى وليست لك الآخرة**»[1].

٣ ـ استحضار متعة غض البصر بديلًا عن لذة البصر:

يبيِّن للمقبلين على مرحلة البلوغ وبداية الشباب بأن غض البصر ليس عملًا ينطوي على مشقة ومعاناة متكررة فحسب، كما يتوهم كثير من الشباب، وإنما تعقب تلك المشقة والصبر عليها طمأنينة القلب وراحة البال، والسر في ذلك أن غض البصر: «امتثال لأمر الله الذي هو غاية سعادة العبد في معاشه ومعاده؛ فليس للعبد في دنياه وآخرته أنفع من امتثال أوامر ربه ـ تبارك وتعالى ـ. وما سعد من سعد

(١) صحيح ابن حبان، مخرجًا (١٢/ ٣٨١)، وحسنه الألباني.

في الدنيا والآخرة إلا بامتثال أوامره، وما شقي من شقي في الدنيا والآخرة إلا بتضييع أوامره»[1]، وكما أوضح الشاعر حين قال[2]:

وكنت متى أرسلت طرفك رائدًا لقلبك يومًا أتعبتك المناظر

رأيت الذي لا كله أنت قادر عليه ولا عن بعضه أنت صابر

فالنظر إلى زينة الفتاة متعة عابرة، كثيرًا ما تتحول إلى شقاء وتعاسة، عندما لا يتمكن الإنسان من تلبية الشهوة التي يثيرها في النفس، بل وكثيرًا ما تؤدي محاولة إشباعها خارج الزواج إلى معاناة ومحن لا تنتهي. كما يستشعر الشاب الغاض لبصره لذة الانتصار على النفس الأمارة بالسوء،

(١) الداء والدواء = الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (١/ ٤١٥).

(٢) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: محمد حامد الفقي، الناشر: مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية (١/ ٤٧).

والظفر بما هو خير وألذ مما تخلت عنه واجتنبته من السيئات والزلات، وذلك عندما يعوضها الله عما تعففت عنه لأجله ـ تعالى ـ بما هو أزكى وأصلح، قال رسول الله ﷺ: «**إنك لا تدع شيئًا اتقاء الله ـ تعالى ـ إلا أعطاك الله ﷻ خيرًا منه**»(١).

اقتراحات إعمال المقصد:

يمكن أن يقترح لإعمال هذه المقاصد الإجراءات الآتية:

- **في المجال الأسري والاجتماعي:**
  - اجتهاد الأسرة في ترشيد تعامل الشباب والفتيات مع الإنترنت وأمام مختلف الشاشات.
- **في مجال المناهج الدراسية:**
  - دمج الأخبار والقصص المحفزة على غض البصر ضمن مناهج التعليم.

(١) رواه أحمد (٥/ ٣٦٣)، وإسناده صحيح، ورواه البيهقي (٥/ ٣٣٥)، ووكيع في الزهد، والقضاعي في مسنده.

- **في مجال النشاط التربوي:**
  - تدريب المعلمين والمربين لطلابهم على غض البصر، وتحفيزهم عليه في الأنشطة الصفية واللاصفية.
- **في المجال الثقافي والإعلامي والتقني:**
  - نشر مواد تحفز الجمهور على غض البصر والعفة.

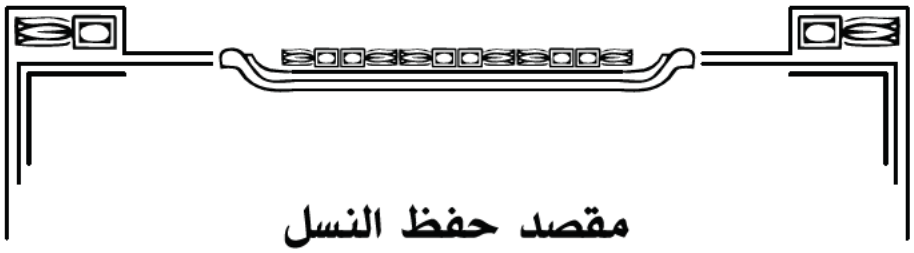

مقصد حفظ النسل

المقصد العام: حفظ النسل.

المقصد الخاص: إكساب الشباب خلق العفة والقدرة على الصمود أمام إغراءات الفاحشة.

المقصد الجزئي: التعامل برفق مع الشباب لإقناعهم بالعدول عن ارتكاب الفواحش والخطايا.

النص الأساسي:

عن أبي أُمامة رضي الله عنه «أن فتى من قريش أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، ائذن لي في الزنا. فأقبل القوم عليه وزجروه. فقالوا: مه مه. فقال: «**ادنه**»؛ فدنا منه قريبًا؛ فقال: «**أتحبه لأمك؟**» قال: لا والله، جعلني الله فداك. قال: «**ولا الناس يحبونه لأمهاتهم**». قال: «**أفتحبه لابنتك؟**». قال: لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداك. قال: «**ولا الناس يحبونه لبناتهم**». قال: «**أفتحبه لأختك؟**» قال: لا والله

يا رسول الله، جعلني الله فداك. قال: «**ولا الناس يحبونه لأخواتهم**». قال: «**أتحبه لعمتك؟**» قال: لا والله يا رسول، جعلني الله فداك. قال: «**ولا الناس يحبونه لعماتهم**». قال: «**أتحبه لخالتك؟**» قال: لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداك. قال: «**ولا الناس يحبونه لخالاتهم**». قال: «فوضع يده عليه، وقال: **اللَّهُمَّ اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصن فرجه**». قال: «فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء»[1].

التوصيف العلمي:

تسمية الشاب في هذه الرواية بالفتى مشعر بما سبق أن الفتى هو حديث العهد بالبلوغ، ويدل على تلك الحداثة أنه جاء ليتحدث عن إكراهات الشهوة حتى سأل أن يؤذن له فيها، والحديث يتضمن أمورًا مثيرةً للتأمل، نستعرض أهمها فيما يأتي:

(١) رواه أحمد والطبراني في الكبير، قال الهيثمي في مجمع الزوائد: ورجاله رجال الصحيح (١/١٢٩).

١ ـ دلالات جرأة الشاب على الاستئذان في الزنا وعدم نهر الرسول ﷺ له:

يستغرب القارئ للنص، كما استغرب الصحابة الحاضرون، من جرأة هذا الشاب الذي جاء إلى رسول الله ﷺ يستأذنه لكي يسمح له بارتكاب إحدى أكبر الكبائر التي هي الزنا، ولكن لا يمكن بحال استغراب رد فعل رسول الله ﷺ حين عامله بغاية الرفق واللطف؛ فهو الذي بعثه الله بمهمة عظيمة يجوز اختزالها في تربية الناس على دين الإسلام، القائم على حسن فهمه والرضا بأحكامه، وإدراك حكمها ومقاصدها.

فهذه الجرأة محمودة؛ لأن الغرض الذي يكمن خلفها هو خروج هذا الشاب من حال الضيق والحيرة، التي أوقعه فيهما حرصه على طاعة الله ورسوله، والرغبة في إشباع شهوته؛ فما كان منه إلا أن بسط معاناته بين يدي رسول الله ﷺ، رجاء أن يدله على مخرج يرضي الله ورسوله، ويرضي ضميره.

لقد أدرك رسول الله هذه الحقيقة، وأن الشاب كان بإمكانه أن يعمد إلى الزنا بعيدًا عن علم الناس وأنظارهم، لكنه رفض هذا المسلك، وقرر أن يصدق الله ورسوله، وهو موقن أن رسول الله لا يخيب من شكا حاله إليه، «هكذا تجرأ الشاب ولم يُخْفِ عِلّته، هكذا لجأ إلى الطبيب ليطلب الدواء صراحة، ومعرفة العلة أولَ خَطوات الشفاء. . . فلم يزجره، ولم ينهره، ولم يُؤذه، بل أخذه وربَّت على كتفه في لطف ولين»[1].

وفي هذا تطبيق للمنهج النبوي في التربية، المؤسس على الرفق والتيسير والصدق والاقتناع. قال رسول الله ﷺ لمعاذ وأبي موسى لما بعثهما إلى اليمن: «**يسرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا، وتطاوعا ولا تختلفا**». وقال عن الرفق: «**ما كان الرفق في شيء إلا زانه، ولا كان الفحش في شيء قط إلا شانه**»[2]؛ وذلك «لأن به تسهل الأمور، وبه يتصل بعضها

(١) تفسير الشعراوي (١٣/ ٨٢٨٤).

(٢) صحيح ابن حبان، مخرجًا (٢/ ٣١٢).

ببعض، وبه يجتمع ما تشتت، ويأتلف ما تنافر وتبدد، ويرجع إلى المأوى ما شذ، وهو مؤلف للجماعات، جامع للطاعات، ومنه أخذ أنه ينبغي للعالم إذا رأى من يخل بواجب، أو يفعل محرمًا، أن يترفق في إرشاده ويتلطف به»[1].

٢ ـ حدود الكلام عن العلاقات الجنسية للضرورة:

ينظم هذا الحديث إلى جانب الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، التي تناولت موضوع العلاقات الجنسية في أبعادها المتعددة، لتشكل جميعها دليلًا قويًّا على جواز إثارة موضوع حول الغريزة الجنسية للسؤال أو الاستشكال، دون اعتبار ذلك عملًا مشينًا أو مخلًّا بالمروءة، وروح الشريعة التي تطرق كل المواضيع المرتبطة بسلوك المكلف، وتقدمت صورتها وأحكامها بصدق ووضوح دون أي حرج؛ لأن تبين الأحكام، وضبط المفاهيم والتصرفات بحاجة لخلق

(١) فيض القدير (٥/ ٤٦١).

جو من الأمان للحوار المفتوح، الذي لا يبقى في النفوس رغبة لم تناقش ولا إشكالًا لم يفند ولا شبهة لم تجد لها جوابًا.

وبهذا يبنى وعي سائر المكلفين تمام الوعي؛ فالمسكوت عنه مخيف العاقبة، وقد يفضي إلى مزالق ومحاذير لا تحمد عقباها. وليس الحياء ترك السؤال عن ما يهم، بل الحياء: «**انقباض النفس عن القبائح**، وهو قسمان: جِبِلي، وهو ما فطرت النفوس عليه، من ترك ما يحيك فى الصدر، ويخشى المرء اطلاع الناس عليه، ومكتسب، وهو ترك ما يذم شرعًا»[1].

٣ ـ طريقة الرسول ﷺ في حمل الفتى على إدراك مخاطر الزنا وشناعته:

لم يرد الرسول ﷺ على استئذان الفتى له في الزنا، بكونه حرامًا وكبيرة من الكبائر؛ لأنه يعرف ذلك جيدًا ولا

(١) انظر: موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة (ص٢٤٨).

يجهله، لكنه كشف له عن بعض النتائج الشنيعة المباشرة للترخيص له بالزنا، وهي أن يصبح سلوكًا مباحًا لجميع الناس، وضمنهم أمه وبنته وأخته وعمته وخالته؛ فسأله إن كان يقبل بذلك ويرضاه لهم؛ فجاء جوابه حاسمًا وقاطعًا بأنه لا يقبل ولا يرضى، ثم بيَّن له بألا أحد يقبل ويرضى به في أهله وقرابته؛ فتبين له بشاعة الظلم الذي سيقع فيه بفعل الزنا، بل والفتنة المطبقة التي ستنتهي بأفراد المجتمع إلى أن يقتتلوا؛ غيرة على أعراضهم التي تدنس بالفاحشة.

ومن أخلاق الإيمان أن يحب الإنسان للناس ما يحب لنفسه، ويكره لهم ما يكره لها؛ فعن أنس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**»[1]. ومن مقتضيات هذا المبدأ الإيماني، معاملة المؤمن للناس بمثل ما يحب أن يعاملوه به، والتي إذا وضعها نصب عينيه ارتقت أخلاقه وسلوكه تجاه الآخرين إلى

(١) صحيح البخاري (١/ ١٢).

أعلى مستوى، وخلى من الظلم والأنانية المقيتة.

كما أن عدالة الله تقضي بأن يعامل كل واحد بمثل ما يعامل به خلقه، ويواجه بنقيض قصده السيئ، «ولو علم الفاجر ما في العفاف من اللذة والسرور، وانشراح الصدر وطيب العيش؛ لرأى أن الذي فاته من اللذة أضعاف أضعاف ما حصل له، دع ربح العاقبة والفوز بثواب الله وكرامته، ومنها أنه يعرض نفسه لفوات الاستمتاع بالحور العين في المساكن الطيبة في جنات عدن»[1]، وكما قال الشاعر:

يا هاتكًا حرم الرجال وتابعًا ... طرق الفساد فأنت غير مكرم

من يزن في قوم بألفي درهم ... في أهله يزنى بربع الدرهم

إن الزنا دين إذا استقرضته ... كان الوفا من أهل بيتك فاعلم

(١) روضة المحبين ونزهة المشتاقين (ص٣٦٢)، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

التوصيف التربوي:

نستفيد من الحديث الفوائد التربوية الآتية:

١ ـ أهمية اعتماد الرفق من قبل المربين في معالجة أخطاء الشباب:

لقد بيَّن القرآن مكانة اللين والرفق، في عرض حقائق الدين وبيناته، من ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [النحل: ١٢٥].

وأكد الرسول ﷺ بقوله وفعله أهمية الرفق في تعليم الدين والتعريف بهديه.

ويُعَدُّ حواره مع الشاب المستأذن في الزنا، نموذجًا لممارسة الرفق في تعليمه وبيانه، وليس الإنكار على المخطئ من أول وهلة، ومبادأته باللوم والعتاب؛ ذلك لأن «أسلوب التعليم والتبصير هو أسلوب يأتي في المقدمة،

ويأخذ مكانته في أوليات سُلم الأساليب؛ لأن العلم يسبق القول والعمل، والمؤاخذة والمعاتبة والمناصحة، وغير ذلك من أساليب التربية والتقويم والدعوة إنما تسوغ بعد التعليم والتبصير والتنوير، وإقامة الحجة وإيضاح المحجة!»[1].

وكل تعنيف وإغلاظ في القول يعمق سوء التفاهم، ويدفع المخطئ في اتجاه الدفاع عن خطئه ومحاولة تبريره؛ الأمر الذي يضيع معه أصل المشكل، ويحتل مكانه مشكل أو مشاكل جديدة؛ فينتهي مجهود الإصلاح إلى فساد ذات البين بين الطرفين، ونشوء العداوة والتوتر، الذي يغلق منافذ العقل أمام أي حجة أو دليل.

٢ ـ بيان التصور السليم للعلاقة بين المربي والمتربي في ضوء الحديث:

إنه لا يصلح أن توجد حواجز نفسية، تمنع المتربي من

(١) أساليب دعوة العصاة، لعبد الرب بن نواب الدين بن غريب الدين آل نواب، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ١٤٢٤هـ، (ص١٧١).

البوح للمربي بما يستشكل عليه من الأمور، سواء في باب المعرفة العلمية أو الممارسة السلوكية، وتلك الحواجز الوهمية غالبًا ما تنشأ عن علاقة غير تربوية بينهما، تقوم على فقدان المربي لصفات المرونة واليسر والانفتاح على المتربين، واحتلال المكانة اللائقة في نفوسهم واكتساب ثقتهم. فكون الشاب يجل رسول الله ﷺ، ومستعد لافتدائه، وقد كرر قوله: «**جعلني الله فداك**»؛ لتأكيد مكانة رسول الله في قلبه، لم يمنعه ذلك من أن يظهر ما تلجلج في نفسه، وطغى على فكره وإحساسه، بل إنه ما أفصح عن مراده المستغرب إلا لحبه لرسول الله ﷺ، وحرصه على الاهتداء بهدي سُنَّته.

ومن مشاكل التربية في زماننا اليوم، تردي العلاقة بين المربي والمتربي، وافتقارها لمعايشة كافية تجعل كلًّا منهما يعرف الآخر عن كثب، ويعرف المربي كيف يفيد المتربي، والذي يعرف بدوره كيف يستفيد منه بعيدًا عن المجاملات

الجوفاء، التي تكرس افتقاد الصدق والتلقائية بين الاثنين.

٣ ـ النظرة التربوية للخطأ وتأصيلها في المنظور الإسلامي:

يكتسي التعامل مع الأخطاء البشرية في التربية الإسلامية عناية خاصة، بحيث تعتبر طريقًا لتبين الصواب، واستشعار الحاجة إليه والتشبث به، ومن ثم فإن الأخطاء لا تضر صاحبها إلا عندما يستميت في فعلها، ويدير وجهه لما تنطوي عليه من مؤشرات ومنبهات، دالة على مكمن الخلل فيها، وعلى مسلك الحق والتصرف السوي المتعين السير إليه.

وأول خطوة على طريق الاستفادة من الأخطاء، هي الاعتراف بأن كل الناس مخطئون، إن في قليل أو في كثير، حتى ينشأ في نفوسهم استعداد للتصويب والتوجيه والإصلاح؛ ففي الحديث: «**كل بني آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون**»[1]. وفي حديث آخر: «**أقيلوا ذوي**

(١) المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن =

الهيئات عثراتهم»[1]. فحتى ذوي الهيئات لهم عثرات.

والاعتراف بالخطأ في التصور الإسلامي يرفع الإنسان من درك الضلال والغواية إلى علياء الصلاح والهداية، ويفتح باب التوبة في وجه المذنبين، وينقلهم شوطًا بعيدًا على نهج تقويم الذات وتسديد سيرها، والاعتراف بمسؤوليتها عن زلاتها وانحرافاتها.

و«الخطأ سلوك بشري لا بد أن نقع فيه، حكماء كنا أو جهلاء، وليس من المعقول أن يكون الخطأ صغيرًا فنكبره ونضخمه، ولا بد من معالجة الخطأ بحكمة وروية، وأيًّا كان

= محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري، المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م، للحاكم (٤/ ٢٧٢) وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه».

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد، انظر: صحيح الأدب المفرد (ص٦٥). ذوي الهيئات: هم أهل المروءة والصلاح، الذين لا يعرفون بالشر. (عثراتهم): زلاتهم.

الأمر فإننا نحتاج بين وقت وآخر إلى مراجعة أساليبنا في معالجة الأخطاء»[1].

ونحتاج إلى ترقية العلاقة بين المربي والمتربي، وتأهيلها لإصلاح الأخطاء وتقليلها، وليس «إلى علاقة تصيد الأخطاء، وخوف، وتوجس، وخجل، وانطواء، وربما إلى عدوانية»[2].

اقتراحات إعمال المقصد:

يمكن أن يقترح لإعمال هذه المقاصد الإجراءات الآتية:

- **في المجال الأسري والاجتماعي:**
  - اجتهاد الأسر في تقبل أبنائهم عند الخطأ، ومحاورتهم؛ حتى لا يكتموا رغباتهم وأخطاءهم.

(١) أرشيف ملتقى أهل الحديث (٥) (١٢٧/ ٧٥).

(٢) مهارات التواصل مع الأولاد، كي تكسب ولدك؟ لخالد بن سعود بن عبد العزيز الحليبي، مركز الملك عبد الله للحوار الوطني، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ، (ص١٩).

- **في مجال المناهج الدراسية:**

○ دمج قصص معالجة النبي لأخطاء الشباب في زمنه لتتخذ منهجًا في التعامل بين المربي والمتربي.

- **في مجال النشاط التربوي:**

○ ابتكار حلقات نقاش وحوار بين المعلمين وطلابهم لمناقشة كافة القضايا؛ فردية وجماعية، حسب ما يناسب الموضوعات، من خلال الأنشطة الصفية واللاصفية.

- **في المجال الثقافي والإعلامي والتقني:**

○ تنظيم حوارات بين التربويين والطلاب، وبثها عبر وسائل الإعلام.

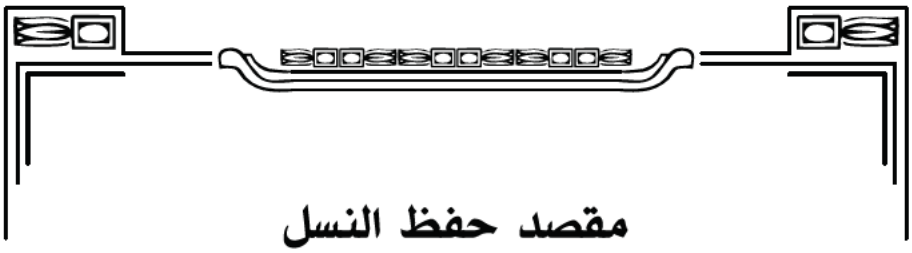

مقصد حفظ النسل

المقصد العام: حفظ النسل.

المقصد الخاص: إبراز قيمة التراضي بين العازبين في تأسيس الحياة الزوجية.

المقصد الجزئي: التعريف بحق الفتاة في اختيار من يتزوجها.

النصوص الأساسية:

النص الأول:

عن عدي بن عدي الكندي، عن أبيه رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «**الثيب تعرب عن نفسها، والبكر رضاها صمتها**»[1].

---

(١) رواه ابن ماجه (١/ ٦٠٢)، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه برقم (١٨٧٢).

النص الثاني:

عن ابن بريدة رضي الله عنه قال: جاءت فتاة إلى عائشة رضي الله عنها فقالت: إن أبي زوجني ابن أخيه لرفع خسيسته، وإني كرهت ذلك. فقالت لها عائشة: انتظري حتى يأتي رسول الله ﷺ. فلما جاء رسول الله ﷺ أرسل إلى أبيها؛ فجعل الأمر إليها. فقالت: «أما إذا كان الأمر إلي فقد أجزت ما صنع أبي، إنما أردت أن أعلم هل للنساء من الأمر شيء أم لا»[1].

التوصيف العلمي:

كون السائلة بكرًا، ووصفت بأنها فتاة، يشعر بأنها فتاة حديثة عهد ببلوغ، ومن هنا قام السؤال في موضوع يتصل بحقوقها في موضوع الزواج، هل يقبل تزويجها بغير رأيها أم لا؟ فأوضح رسول الله ﷺ بأن المرأة التي سبق لها أن تزوجت، تتكلم ببيان رغبتها أو عدمها في الزواج من شخص آخر، في حين يكون صمت البكر دليلًا على رضاها بمن يريد نكاحها.

(١) مصنف ابن أبي شيبة (٣/٤٥٩). إسناده صحيح.

ويعتبر «الرضا بالشيء قبوله وعدم رده، فلا بد من رضا الزوجة، فلا تكره ولا تزوج بمن لا تريده، ولا بد من رضا الزوج، فلا يكره على من لا يريدها.

والله ـ تعالى ـ ذكر الرضا في أمور عادية؛ ففي البيع يقول ـ تعالى ـ: ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمۡۚ﴾ [النساء: ٢٩]، بمعنى أنه: لا بد أن يكون البيع بعد التراضي، ويقول النبي ﷺ: «**إنما البيع عن تراض**». فإذا كان هذا في بذل المال؛ فلا شك أن بذل الزوجية أولى بأن يكون محل الرضا؛ فلا بد من رضا الزوجة، لذلك قال النبي ﷺ: «**لا تنكح المرأة الثيب حتى تستأمر، ولا تنكح البكر حتى تستأذن**»»[1].

ولقد «استدلَّ الجمهور القائلون بأن سكوت البكر رضا

(١) شرح عمدة الأحكام، لابن جبرين (٦٠/ ٢٠)، بترقيم الشاملة آليًّا، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية: http://www.islamweb.net.

مع كلِّ وليّ، وفي حقّ كلِّ بكر، بالسُّنَّة الصحيحة المستفيضة، وبالمعقول، وبالإجماع. فأمَّا السُّنَّة: فقد صحّ واشتهر واستفاض فيها أنَّ سكوت البكر رضا»[1].

وعن عائشة رضي الله عنها «أنها قالت: يا رسول الله، إن البكر تستحي، قال: **رضاها صماتها**»[2].

ويبيِّن حديث ابن بريدة رضي الله عنه أن فتاة جاءت إلى عائشة رضي الله عنها، تشكو إليها تزويج أبيها لها من ابن أخيه، ليرفع بذلك وضاعته بين الناس، وهي كارهة لذلك؛ فأخبرت رسول الله ﷺ؛ فأرسل إلى أبيها، وجعل الأمر إليها، ثم بعد ذلك أجازت ما صنع أبوها؛ لتؤكد بذلك حق النساء في قبول أو رد من يطلبهن للزواج.

قال الشوكاني عن حديث ابن بريدة: «ويشهد له حديث

---

(١) الولاية في النكاح، لعوض بن رجاء بن فريج العوفي، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م، (١/ ٣٢٦).

(٢) رواه البخاري (٥/ ١٧٩).

ابن عباس في الجارية البكر التي زوَّجها أبوها وهي كارهة؛ فخيَّرها النبي ﷺ، وكذلك تشهد له الأحاديث الواردة في استئمار النساء على العموم؛ كذلك حديث خنساء بنت خذام، وقد تقدم جميع ذلك في باب ما جاء في الإجبار والاستئمار، وإنما ذكر المصنف حديث بريدة ههنا لقولها فيه: «ليرفع بي خسيسته»[1].

ويرى ابن قدامة المقدسي أن من شروط النكاح: التراضي من الزوجين، أو من يقوم مقامهما؛ لأن العقد لهما؛ فاعتبر تراضيهما به كالبيع[2].

(١) نيل الأوطار (٦/ ١٥٣)، للشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، الناشر: دار الحديث، مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

(٢) الكافي في فقه الإمام أحمد (٣/ ١٨)، لابن قدامة المقدسي، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

لذلك؛ فإن إكراه الفتاة البالغة على الزواج يتنافى والصفة التكليفية التي أصبحت متحققة فيها بالبلوغ. يقول محمد رشيد رضا: «ولا يجوز إكراه المرأة على الزواج بمن تكره مطلقًا»[1].

وجاء في «موسوعة الفقه الإسلامي»: فالمرأة التي تعرف مصالح النكاح لا يجوز إجبارها على النكاح، لا من أبيها ولا من غيره من الأولياء؛ فيكون أمرها بيدها، سواء كانت بكرًا أو ثيبًا... فإن عقد عليها لأحد وهي غير راضية؛ فلها فسخ العقد... ويجوز للأب تزويج ابنته الصغيرة دون إذنها، وقد زوّج أبو بكر رضي الله عنه ابنته عائشة أم المؤمنين من رسول اللهِ ﷺ وهي صغيرة بنت ست سنين دون إذنها. ولمن زوِّجت صغيرة الخيار إذا بلغت[2].

---

(١) تفسير المنار (٢/ ٣٢١).

(٢) موسوعة الفقه الإسلامي (٤/ ٢٣)، لمحمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري، بيت الأفكار الدولية، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

فهي إذا رضيت بصنيع وليها أو رفضته عند بلوغها، بعدما تعذر لمانع الصغر، تكون قد مارست حريتها متأخرة وفق ما تكفله لها الشريعة التي قامت جميع تكاليفها على إرادة المكلف واختياره.

التوصيف التربوي:

وفي ضوء المقصد يمكن استفادة ما يأتي:

١ ـ عقد النكاح يشمله تجسيد حرية البالغ المكلف لا إهدارها:

لمَّا خلق الله الإنسان حرًّا مسؤولًا، وكلَّفه بإعمار الأرض على أساس نهج دينه، لم يسمح لأحد أن يتجاوز حقوق الإنسان، وما خصَّه به الله تعالى ـ، وأكدته أحكام شريعته، ورسخته ممارستها، من حرية الإنسان ومسؤوليته، عبر ما ينخرط فيه من العهود والمواثيق، وما يبرمه من العقود القائمة على حرية الاختيار وضرورة التراضي، حتى تصير عقودًا صحيحة، وتترتب عليها نتائج مشروعة، وتلزم المتعاقدين بمقتضياتها، ولا يحد حريتهما سوى حدود

الشرع، المانعة من الاتفاق على ترك واجب أو فعل محرم. فكل العقود، ومنها عقد الزواج، ينشأ عنه التزامان اثنان: **أولهما**: بين كل واحد من العاقدين والخالق سبحانه، **والثاني**: بين العاقدين أنفسهما، وذلك ما يوفر له قوة الالتزام به، والاجتهاد في تحقيق غاياته، المنبثقة عن مقاصد الدين، وأهمها: تجسيد حرية المتعاقدين ومسؤوليتهما عن الوفاء بالتزاماتهما في إطار العقد الشرعي. ودليل ذلك من القرآن: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾﴾ [الفتح: ١٠].

ومن السُّنَّة: قال رسول الله ﷺ: «**يقول الله: أنا ثالث الشريكين ما لم يخن أحدهما صاحبه؛ فإذا خان خرجت من بينهما**»[1].

(١) المستدرك على الصحيحين، للحاكم (٢/ ٦٠). قال الحاكم: «وهذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه».
[التعليق، من تلخيص الذهبي] (٢٣٢٢)، صحيح.

قال ـ تعالى ـ عن ميثاق الزواج: ﴿وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾﴾ [النساء: ٢١].

وذهب معظم المفسرين إلى كون الميثاق الغليظ هو الإمساك بمعروف أو التسريح بإحسان.

٢ ـ تزويج الفتاة حديثة العهد بالبلوغ ينبغي أن يبنى على المحبة والتراضي:

إن كل العلاقات التي تستمر لفترة طويلة، تحتاج إلى إرسائها على أساس المحبة والتراضي بين أطرافها؛ حتى يمكنها تحقيق أهدافها الثابتة، مثل: علاقات الزواج، والقرابة الرحمية، والجوار والصداقة، والعقود الاستثمارية المختلفة...

ولقد «جبل الله ـ تعالى ـ النفس البشرية على الشغف بكل مظهر يعبر عن المحبة والارتياح إلى كل تصرف ينبض بالود، وما من إنسان سوي إلا وهو بطبعه ينشد ذلك في قسمات الوجوه، ويتلمسه في طوايا الحديث وبين الكلمات، ويتلهف إليه في كل حين.

ومن أجل هذا كانت المحبة قمة العلاقات الإنسانية؛ فمنها ينبثق التسامح، ومن معينها تفيض جميع الصفات النبيلة، وعن طريقها تتفجر الأحاسيس وتسمو العواطف»[1].

٣ ـ مقومات التربية على الاختيار وتأهيل الفتاة لحسن ممارسته:

تقدم التربية الإسلامية توجيهات لممارسة الاختيار الأفضل، نذكر منها:

ـ اعتبار الدين في قبول الفتاة بالرجل الذي تتزوج به، كما صح به الخبر عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض**»[2].

(١) مجلة البحوث الإسلامية، مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد (٢٥/ ٢٠١).

(٢) سنن الترمذي (٣/ ٣٨٦)، وقال: حديث حسن صحيح. وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي، برقم (١٠٨٤).

ـ اعتبار الخلق في اختيار الزوج (كما في النص السابق).

ـ اعتبار الأمانة؛ ففي الحديث «وأمانته» (كما في النص السابق).

ـ إيثار جمال الروح على جمال الجسد؛ فجمال الروح يعرف بتدين الشخص وحسن سلوكه، وما حباه الله به من طباع مكتسبة أو مجبول عليها، مثل: الكرم، وسعة الصدر، والسماحة، والحلم والأناة؛ فقد قال رسول الله ﷺ للأشج أشج عبد القيس: «**إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم، والأناة**»[1]. وفي رواية زيادة قال: يا رسول الله، أنا أتخلق بهما أم الله جبلني عليهما؟ قال: «**بل الله جبلك عليهما**». قال: الحمد لله الذي جبلني على خلقين يحبهما الله ورسوله[2].

(١) صحيح مسلم (١/ ٤٨).

(٢) صحيح ابن حبان (١٦/ ١٨٠). قال المحقق: «هذا سند حسن».

ـ حضور رغبة الفتاة في الراغب في زواجها؛ فقد رأينا في الحديث كيف جعل رسول الله ﷺ للفتاة الحق في الاختيار والرفض، وقد أجاز رسول الله ﷺ رفض بريرة لمغيث، وفسخها لنكاحها منه، حتى مع شفاعة رسول الله ﷺ، حتى قالت له: أتامرني يا رسول الله؟ قال: «**لا، بل أشفع**». فرفضته، وما أكرهها رسول الله ﷺ عليه.

لا بد للفتاة من السؤال عمن يرغب في نكاحها، ولا بد لمن سئل أن يبين؛ فهي شهادة، ومن يكتمها فإنه آثم قلبه، وقد نقل لنا الحاكم في المستدرك واقعة عجيبة لبلال بن رباح رضي الله عنه حين خطب أخوه فتاة؛ فسأل أهلها بلالًا عنه...

فعن عمرو بن ميمون؛ أن أخًا لبلال كان ينتمي إلى العرب، ويزعم أنه منهم؛ فخطب امرأة من العرب؛ فقالوا: إن حضر بلال زوجناك. قال: فحضر بلال فقال: «أنا بلال بن رباح، وهذا أخي وهو امرؤ سيئ الخلق والدين؛ فإن شئتم أن تزوجوه فزوجوه، وإن شئتم أن تدعوا فدعوا»

فقالوا: من تكن أخاه نزوجه فزوجوه[1].

اقتراحات إعمال المقصد:

يمكن أن يقترح لإعمال هذه المقاصد الإجراءات الآتية:

- **في المجال الأسري والاجتماعي:**
  - تدريب الوالدين للشباب والفتيات على حسن الاختيار.
- **في مجال المناهج الدراسية:**
  - دمج نصوص حق الفتاة في اختيار زوجها ضمن مناهج التعليم.
- **في مجال النشاط التربوي:**
  - ابتكار حلقات نقاش وحوار بين المعلمين وطلابهم لمناقشة المعايير الشرعية في اختيار الزوج.

---

(١) المستدرك على الصحيحين، للحاكم (٣/ ٣٢٠)، وقال «صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، وأخو بلال هذا له رواية»، ووافقه الذهبي.

- **في المجال الثقافي والإعلامي والتقني:**
  - بث حوارات وحلقات تبيِّن حق الفتاة في اختيار الزوج، ولزوم السؤال عن الخاطب الراغب في النكاح.

مقصد حفظ الأخلاق

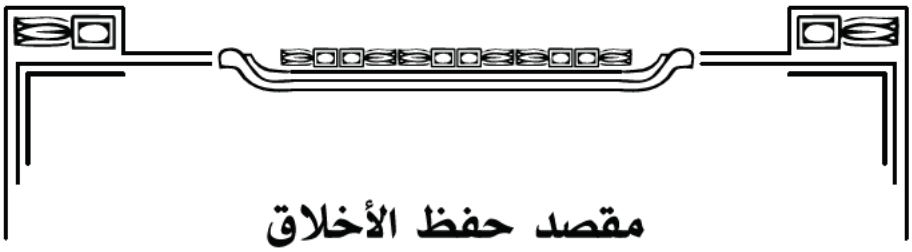

مقصد حفظ الأخلاق

المقصد العام: حفظ الأخلاق.

المقصد الخاص: التربية على الرفق بالحيوان.

المقصد الجزئي: التعرف على مدى استقباح الشرع لأذية الحيوان وتعذيبه.

النص الأساسي:

عن سعيد بن جبير، قال: مر ابن عمر رضي الله عنهما بنفر، وفي رواية: (مر بفتيان من قريش) قد نصبوا دجاجة يترامونها؛ فلما رأوا ابن عمر تفرقوا عنها. فقال ابن عمر: «من فعل هذا؟ إن رسول الله ﷺ لعن من فعل هذا»[1].

التوصيف العلمي:

سبقت الإشارة ـ مرارًا ـ إلى أن لفظ الفتى هو:

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (٣/ ١٥٤٩).

الشاب حديث العهد بالبلوغ، وهو قول غير واحد من العلماء[1].

ويفيد الحديث «أن ابن عمر رضي الله عنهما مر بفتيان من قريش وقد جعلوا طائرًا يرمون عليه، أيُّهم أشد إصابة؛ فلما رأوا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما تفرقوا هربًا منه، ثم قال: ما هذا؟ فأخبروه. فقال: لعن الله من فعل هذا، لعن الله من فعل هذا، وذكر أن النبي ﷺ لعن من اتخذ شيئًا فيه الروح غرضًا»[2].

وسبب حظر هذا السلوك ما ينطوي عليه من إيذاء شديد للطير، الذي هو كائن حي يحس ويتألم، «إذ إن هذا يضربه على جناحه، وهذا يضربه على صدره، وهذا يضربه

(١) الجامع لأحكام القرآن الكريم، للإمام القرطبي (١٠/ ٣٦٤). فتح القدير، للإمام الشوكاني (٣/ ٣٢٣). فتح البيان في مقاصد القرآن، لصديق حسن خان القنوجي البخاري، المكتبة العصرية، ١٤١٢هـ، (١٨/٨).

(٢) شرح رياض الصالحين (٦/ ٢٩٤).

على ظهره، وهذا على رأسه؛ فيتأذى؛ فلهذا لعن النبي ﷺ من اتخذ شيئًا فيه الروح غرضًا. أما بعد ما مات؛ فقد مات لا يحس بشيء[1]. فلعن رسول الله لهذا الفعل يدخله في دائرة الأعمال المحرمة، بل يرفعه إلى كبائرها؛ فقد جاء في كتاب «تطريز رياض الصالحين» تعليقًا على هذا الحديث: «أن تعذيب الحيوان من غير سبب شرعي من الكبائر»[2].

وفي اتجاه وجوب الرفق بالحيوان وتحريم إذايته فإن «النبي ﷺ نهى أن يقتل الحيوان صبرًا؛ ومعناه: أن يحبس ثم يقتل؛ فإن هذا لا يجوز؛ وذلك لأنه إذا حبس كان مقدورًا على ذبحه وتذكيته؛ فلا يحل أن يرمى، ورميه إيلام له من وجه، وإضاعة لماليته من وجه آخر»[3].

ولقد أعلى الإسلام من معاملة الحيوان، وجعل الرفق

(١) المصدر السابق.

(٢) تطريز رياض الصالحين (ص٨٩٦).

(٣) شرح رياض الصالحين (٦/ ٢٩٤).

به في أعلى درجات الإحسان، وأوجب إحسان ذبحه؛ فقال رسول الله ﷺ: «**إن الله كتب الإحسان على كل شيء؛ فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليحد أحدكم شفرته، وليرح ذبيحته**»(١).

والإحسان للحيوان قد يصل بفاعله إلى استحقاق الجنة؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن النبي ﷺ قال: «**بينا رجل بطريق، اشتد عليه العطش؛ فوجد بئرًا؛ فنزل فيها؛ فشرب ثم خرج؛ فإذا كلب يلهث، يأكل الثرى من العطش؛ فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ مني؛ فنزل البئر فملأ خفه ماء؛ فسقى الكلب؛ فشكر الله له فغفر له**». قالوا: يا رسول الله، وإن لنا في البهائم لأجرًا؟ فقال: «**في كل ذات كبد رطبة أجر**»(٢).

كما أنزل الإسلام أذية الحيوان في مرتبة الكبائر، التي

(١) صحيح مسلم (٣/ ١٥٤٨).

(٢) صحيح البخاري (٣/ ١٣٢).

تصلي مرتكبها نار جهنم؛ فعن ابن عمر ﷺ؛ أن رسول الله ﷺ: قال: «**عذبت امرأة في هرة سجنتها حتى ماتت؛ فدخلت فيها النار، لا هي أطعمتها وسقتها، إذ هي حبستها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض**»(١).

وتبرز كذلك المكانة التي تبوأتها معاملة الحيوان، من خلال معجزة شكوى جمل لرسول الله سوء معاملته من طرف فتى أنصاري؛ فعن عبد الله بن جعفر ﷺ قال: «أردفني رسول الله ﷺ خلفه ذات يوم؛ فأسر إليَّ حديثًا، لا أحدث به أحدًا من الناس، وكان أحب ما استتر به رسول الله ﷺ لحاجته هدفًا أو حائش نخل؛ فدخل حائطًا لرجل من الأنصار؛ فإذا فيه جمل؛ فلما رأى النبي ﷺ حنَّ، وذرفت عيناه؛ فأتاه رسول الله ﷺ؛ فمسح ذفراه؛ فسكت؛ فقال: «**من رب هذا الجمل؟ لمن هذا الجمل؟**» فجاء فتى من الأنصار؛ فقال: لي يا رسول الله. فقال له: «**أفلا تتقي الله**

(١) رواه البخاري (٢/ ٧٨)، ورواه مسلم (٧/ ٤٣).

في هذه البهيمة التي ملَّكك الله إياها؛ فإنه شكا إليَّ أنك تجيعه وتدئبه»[1].

التوصيف التربوي:

وفي ضوء المقصد يمكن الإفادة من النص ما يأتي:

١ ـ الإذن للشباب الحدث باللعب لا يعني السماح بأذية الحيوان:

حاجة الشباب للعب حاجة فطرية لا بد لهم منها، إلا أن الإذن لهم بها لا يعني السماح بإهدار حقوق سائر المخلوقات، ومنها: الحيوانات.

٢ ـ توظيف النُّصوص الشرعية الحاثَّة على الإحسان إلى الحيوان، والنُّصوص الزاجرة عن أذيَّته وتعذيبه:

مهم العمل على تربية الشباب على استشعار مسؤولية

---

(١) جامع الأصول (٣/ ٣٥١) (٢٦٣٠)، أخرجه أبو داود. قال الأرناؤوط: إسناده صحيح. أورده الألباني في صحيح سنن أبي داود. والحائش: حائط النخل والحديقة منه، ذفراه: الذفرى هو الموضع الذي يعرق من البعير خلف الأذن، وقوله: «تدئبه»؛ أي: تتعبه.

الإنسان تجاه الحيوان، وخلق الدافعية الإيمانية اللازمة للرأفة به والإحسان إليه.

من ذلك بيان أن الله ـ تعالى ـ يعامل الإنسان بحسب معاملته لغيره، سواء كان آدميًّا أو حيوانًا؛ ففي الحديث عن ابن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من مثَّل بذي روح، ثم لم يتب؛ مثَّل الله به يوم القيامة**»[1].

ولا بد من تبصر الشباب تعلق الأجر العظيم في الإحسان إلى الحيوان، وتعلق العقوبة العظيمة في الإضرار بالحيوان؛ فقد دخلت امرأة النار في هرة حبستها، ودخلت أخرى الجنة في كلب سَقَتْهُ.

٣ ـ العمل على تمتين علاقة الشباب بالحيوان:

من خلال تحبيب الوالدين لهم الرفق بالقطط

(١) مسند أحمد، ت: شاكر (٥/ ١٦٩)، قال محمود شاكر: إسناده صحيح، وهو في مجمع الزوائد (٤/ ٣٢)، وقال: «رواه أحمد ورجاله ثقات».

والدواجن، والماشية وباقي الحيوانات الموجودة في البيئة المحيطة، في المنزل والحي والطريق، واعتماد التنفير من تعذيب الحيوان والاعتداء عليه بأي وجه، والحثُّ على اللطف به والإحسان إليه، «ومن هذا الطيور التي تحبس في الأقفاص، إذا وضع عندها الطعام والشراب، ولم يقصر عليها، وحفظها من الحر والبرد فلا بأس، وأما إذا قصر وماتت بسبب تقصيره؛ فإنه سوف يعذب بها، كما عذبت المرأة في الهرة التي حبستها»[1].

اقتراحات إعمال المقصد:

يمكن أن يقترح لإعمال هذه المقاصد الإجراءات الآتية:

- **في المجال الأسري والاجتماعي:**
  - توجيه الأولاد عمومًا، والشباب خصوصًا، للرفق بالحيوان، وما يتعلق به من ثواب وعقاب.

(١) انظر: شرح رياض الصالحين (٦/ ٢٩٤).

- **في مجال المناهج الدراسية:**

  ○ دمج نصوص ضبط علاقة الشباب بالحيوان، وما في ذلك من ثواب عظيم في رعايته، وعقوبة كبيرة في مخالفته.

- **في مجال النشاط التربوي:**

  ○ تمكين الشباب والفتيات من التدرب على الرفق بالحيوان، من خلال البرامج اللاصفية والأنشطة الترويحية.

- **في المجال الثقافي والإعلامي والتقني:**

  ○ بثُّ مواد ثقافية وإعلامية عن ثواب الرفق بالحيوان، وعقوبة أذيَّته.

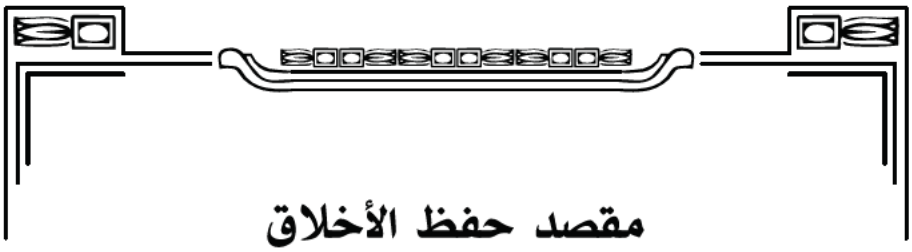

مقصد حفظ الأخلاق

المقصد العام: حفظ الأخلاق.

المقصد الخاص: تربية الشباب على الإحسان إلى الوالدين والأقربين والناس أجمعين.

المقصد الجزئي: التربية على الإحسان للوالدين، وربط طاعتهما بطاعة الله تعالى.

النص الأساسي:

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ [العنكبوت: ٨].

التوصيف العلمي:

وصَّى الله الإنسان بالإحسان لوالديه؛ فإذا حملاه على الشرك بالله مما لا علم له به، فلا تجب عليه طاعتهما،

وكل منهما راجع إلى الله في الآخرة؛ فيخبرهم ـ سبحانه ـ بما كانوا يعملون.

يندرج هذا النص في سياق نصوص أخرى من القرآن والسُّنَّة، أكَّدت قصد الشرع إلى الربط المحكم بين طاعة الله وطاعة الوالدين، والإحسان إليهما والبر بهما، باعتبار ذلك من أخلاق الإسلام، الرامية إلى مقابلة الإحسان بإحسان أكبر، وفيما يأتي توضيح لذلك:

١ ـ إحسان الوالدين للولد في صغره يستوجب إحسانه لهما خاصة في كبرهما:

لا أحد من الناس يستطيع أن يبلغ درجة إحسان الوالدين للولد؛ فقد ربياه صغيرًا وهو أحوج ما يكون لعنايتهما ورعايتهما التي يوفرانها له بمنتهى الحب والرحمة والتفاني والصبر والتضحية المنقطعة النظير، ولذلك يتعين عليه مكافأتهما بمعاملة مشابهة، لا سيما عندما يعجزان عن القيام بشؤونهما، وتشتد حاجتهما لمن يخدمهما، ويقوم على

توفير المستلزمات الضرورية للحياة والتوسعة عليهما جهد المستطاع. والإحسان إليهما يشمل القول والفعل، لا يغني أحدهما عن الآخر، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [الإسراء: ٢٣ ـ ٢٤].

قال ابن العربي: «خصَّ حالة الكبر؛ لأنها بطول المدى توجب الاستثقال عادة، ويحصل الملل، ويكثر الضجر؛ فيظهر غضبه على أبويه، وتنتفخ لهما أوداجه، ويستطيل عليهما بدالة البنوة، وقلة الديانة. وأقل المكروه أن يؤفف لهما؛ وهو ما يظهره بتنفسه المردد من الضجر.

وأمر بأن يقابلهما بالقول الموصوف بالكرامة، وهو السالم عن كل عيب من عيوب القول، المتجرد عن كل مكروه من مكروه الأحاديث»[1].

(١) أحكام القرآن، لابن العربي، ط. العلمية (٣/ ١٨٥).

وبيَّن رسول الله أن الولد لا يجزي والده إلا في حالة واحدة؛ فقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**لن يجزي ولد والده، إلا أن يجده مملوكًا فيشتريه فيعتقه**»(١).

٢ ـ ربط الله طاعته بطاعتهما، وشكره بشكرهما، وربط معصيته بعقوقهما:

إن الربط بين طاعة الله ـ تعالى ـ وطاعة الوالدين، خير ضامن لحفظ حقوقهما واستمرار رعايتهما، وتعبئة الأبناء لاحتمالها في جميع الظروف والأحوال، بل والقيام بها بابتهاج واعتزاز وحرص على استحقاق الثواب العظيم، وتفادي الوزر الكبير المترتب عن إهمال برِّهما؛ فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾

(١) نصب الراية (٣/ ٣٠٤)، أخرجه الجماعة إلا البخاري، فرواه مسلم، والنسائي في «العتق»، وأبو داود في «الأدب»، والترمذي في «البر والصلة»، وابن ماجه في «الأدب»، كلهم عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يجزي ولد والده، إلا أن يجده مملوكًا فيشتريه فيعتقه**».

[الإسراء: ٢٣]، وقال أيضًا: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [لقمان: ١٤].

وبيَّن رسول الله أن من أكبر الكبائر كبيرتين: **أولهما**: الشرك بالله، **وثانيهما**: عقوق الوالدين؛ فعن عبد الرحمٰن بن أبي بكرة، عن أبيه رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا أخبركم بأكبر الكبائر؟**» قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «**الإشراك بالله، وعقوق الوالدين**»[(١)].

كما اعتبر من أكبر الكبائر سبُّ الرجل والديه، ولو عن طريق غير مباشر؛ فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**من الكبائر شتم الرجل والديه**». قالوا: يا رسول الله، وهل يشتم الرجل والديه؟ قال: «**نعم، يسب أبا الرجل فيسب أباه، ويسب أمه فيسب أمه**»[(٢)].

---

(١) صحيح البخاري (٨/ ٦١).

(٢) صحيح مسلم (١/ ٩٢).

٣ ـ فسح الله المجال لطاعة الوالدين ما لم يحملا الولد على الشرك بالله ومعصيته:

طالب الشرع المسلم بطاعة الوالدين، وإن كانا مشركين وغير ملتزمين بأحكام الدين في سلوكهما، ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ [العنكبوت: ٨].

يقول محمد عزة دروزة: «ولقد آمن عدد كبير من شباب قريش وشابَّاتهم، رغم بقاء آبائهم على الشرك والجحود، ومناوأتهم الشديدة للنبي ودعوته. وكان بعض هؤلاء الآباء من الزعماء البارزين، وقد اضطر أكثر هؤلاء الشباب المسلمين إلى الهجرة إلى الحبشة هربًا من ضغط آبائهم واضطهادهم. فالمتبادر أن حوادث ضغط الآباء على الأبناء قد تكررت وتعددت؛ فاقتضت حكمة التنزيل تكرار الأمر والتنبيه»[1].

(١) التفسير الحديث، لدروزة (٥/ ٤٧٠).

فكون الوالدين مشركين ومخالفين لتعاليم الدين، لا يسقط حقِّهما في بر الأولاد، والذي يظلُّ مقيَّدًا بحدود المعروف، التي قد يفضي تجاوزها إلى معصية الله والوقوع في المنكرات. كما أن حق مصاحبتهما بالمعروف المأمور به في القرآن: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ [لقمان: ١٥] يقتضي تلبية حاجاتهما المباحة، والتواصل معهما، والرفق بهما، والإحسان إليهما؛ ففي الحديث المفسر للآية: «المصاحبة بالمعروف أن يطعمهما إذا جاعا، ويكسوهما إذا عريا. ومن حقوقهما خدمتهما إذا احتاجا أو أحدهما إلى خدمة، وإجابة دعوتهما، وامتثال أمرهما ما لم يكن معصية، والتكلّم معهما باللّين، وأن لا يدعوهما باسمهما، وأن يمشي خلفهما، وأن يدعو الله لهما بالمغفرة»[1].

(١) تنبيه الغافلين، للسمرقندي (١/ ١٣٧)، وغذاء الألباب، للسفاريني (١/ ٣٨٩ ـ ٣٩٠).

وعن أسماء بنت أبي بكر ﵄، قالت: قدمت علي أمي وهي مشركة، في عهد رسول الله ﷺ؛ فاستفتيت رسول الله ﷺ، قلت: إن أمي قدمت علي وهي راغبة، أفأصل أمي؟ قال: «**نعم، صلي أمك**»[1]. فالمصاحبة بمعروف، والمعاملة بإحسان، ثابتة للوالدين بحكم العلاقة الوالدية، وليس بالانتساب للدين، وهي واجبة على الأولاد بمقتضى إسلامهم.

التوصيف التربوي:

تتيح العلاقة بين الوالدين والأولاد استخلاص فوائد تربوية قيمة، نذكر منها:

١ ـ التَّعرُّف على قيمة مقابلة الإحسان بإحسان والاعتراف بالفضل ورد الجميل:

تواترت نصوص الشرع من الكتاب والسُّنَّة، التي أكَّدت قيمة العلاقات الإنسانية عامَّةً، وعلاقة الأولاد بالوالدين

(١) صحيح البخاري (٣/ ١٦٤).

خاصَّةً، ومن خلالها تبرز قيمة مقابلة الإحسان بإحسان أكبر منه، كلما ملك المرء القدرة على ذلك، من غير تقاعس أو تراخ؛ فمن هذه المعاملة بين الأصول والفروع تنشأ قيمة الاعتراف بالفضل لصاحبه، وردُّ الجميل بما هو أوفى منه، والتي يلزم أن تترعرع في نفس الأولاد تجاه الوالدين منذ الصغر، حتى تقوى وترسخ في سلوكهم مع دخولهم مرحلة الشباب وما بعدها، حيث يحتاج الوالدان لعناية أكبر وصبر أكثر وأخلاق أوسع من قبل الأبناء، مع تقدمهم في السن، وتزايد عجزهم واشتداد حاجتهم لمن يسهر على راحتهم، ويخفف عنهم وطأة الكبر.

ويؤكد قيمة هذه القيمة الخلقية الرفيعة في منظور الإسلام، ربط الله شكره بشكر الوالدين، ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [لقمان: ١٤]. فيتعين على من يريد شكر الله أن يشكر كذلك والديه، إذ هو شكر واحد

تجاه ذوي الفضل والإحسان على العبد: الله ﷻ، ثم الوالدان.

وهذا الشكر لا يشترط لوجوبه استقامة الوالدين على الدين، وإنما يتجه دومًا إلى إسداء المعروف إليهما، وحسن مصاحبتهما والاعتراف بفضلهما على أولادهما، بعد فضل الله ـ تعالى ـ.

٢ ـ التربية على البر وصلة الأرحام وحسن التعامل مع الناس:

يتعلم الأولاد منذ الصغر استشعار متانة العلاقة الرحمية، التي تربطهم إلى والديهم، الذين يغدقون عليهم من وافر الحب والعناية براحتهم وسعادتهم جهد ما يطيقون، وأحيانًا فوق ما يطيقون، وهو ما يولد في نفوس الأبناء حب الوالدين والامتنان لهم، والاعتزاز بهم، وتقدير فضلهم عليهم؛ فتمتد هذه العلاقة لتشمل الإخوة والأجداد وباقي الأقارب من جهة الأم ومن جهة الأب؛ مما يسهم في توطيد

العلاقات الرحمية داخل الأسرة، وفي أوساط العائلة الكبيرة، حيث تشيع أخلاق التراحم والتواصل والتعاطف والتكافل، ويكتسب النشئ هذه الأخلاق وينمونها بالممارسة لها مع الوالدين والأقربين؛ فيتأهلون تدريجيًّا للتعامل بها مع الناس الأباعد، داخل دوائر أوسع: أهل الحي ثم القرية أو المدينة، وصولًا إلى دائرة الوطن الواحد، ثم الأمة الإسلامية.

٣ ـ مشاعر الشباب في استقلالهم عن والديهم عند بلوغهم لا تعني عدم البرِّ بهما:

الشباب حين يبلغ يشعر بأنه بات رجلًا مستقلًّا عن والديه، وذلك حق، وهي كذلك بمجرد بلوغها تشعر أنها امرأة مستقلة عن والديها، كل ذلك حق، لكنه يضاعف مسؤوليتهما في برِّ الوالدين أكثر من ما مضى؛ إذ كانا يربِّيان على برِّ والديهم، ولكنهما مع بلوغهما بات البر من شؤون التكليف التي لزمتهما شرعًا وواجبًا ثابتًا.

اقتراحات إعمال المقصد:

يمكن أن يقترح لإعمال هذه المقاصد الإجراءات الآتية:

- **في المجال الأسري والاجتماعي:**

○ إعانة الوالدين أولادهم من الشباب والفتيات على برِّهما، والدعاء لهما حين ممارستهم للبر، والثناء على أي فعل حسن منهم؛ حتى يزداد برهم ويتعمق، خصوصًا في المراحل الأولى لبلوغهم.

- **في مجال المناهج الدراسية:**

○ دمج نصوص برِّ الوالدين في المناهج التعليمية، وربطه بطاعة الله ـ تعالى ـ، وأن البر بهما لا يرتبط بصلاحهما.

- **في مجال النشاط التربوي:**

○ تنظيم أنشطة لا صفية، يمارس فيها الشباب والفتيات البر بوالديهم أمام زملائهم، بممارسات مقبولة شرعًا وعرفًا حسب بيئاتهم.

- **في المجال الثقافي والإعلامي والتقني:**

  ○ نشر قصص برِّ الوالدين عبر وسائل الإعلام، وثمار البر على حياة الشباب والفتيات.

مقصد التعليم

مقصد التعليم

المقصد العام: التعليم.

المقصد الخاص: تعلم العبادة.

المقصد الجزئي: التعريف بالفوائد التربوية لصلاة الجماعة.

النصوص الأساسية:

النص الأول:

عن أبي مسعود رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يمسح مناكبنا في الصلاة، ويقول: «**استووا ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم، ليليني منكم أولو الأحلام والنهى، ثم الذين يلونهم**». قال أبو مسعود: «فأنتم اليوم أشد اختلافًا»[1].

النص الثاني:

عن أبي عثمان اليشكري قال: «صلينا الغداة في مسجد

---

(١) رواه مسلم (١/ ٣٢٣).

بني رفاعة وجلسنا؛ فجاء أنس بن مالك ﷺ في نحو من عشرين من فتيانه؛ فقال: أصليتم؟ قلنا: نعم؛ فأمر بعض فتيانه فأذَّن، وأقام، ثم تقدم فصلى بهم»[(١)].

النص الثالث:

عن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «**لقد هممت أن آمر فتيتي فيجمعوا لي حزمًا من حطب، ثم آتي قومًا يصلون في بيوتهم، ليست بهم علة؛ فأحرقها عليهم**»[(٢)].

التوصيف العلمي:

تكرر في النصوص وصف (فتى)، (فتيان)، وهم حديثو العهد ببلوغ ـ كما أسلفنا ـ، ومناسبة هذه البطاقة أولًا في حاجة البالغ للتَّوّ مواصلة ما رُبِّيَ عليه منذ طفولته من أمر

(١) السنن الكبرى، للبيهقي (٣/٧٠)، وصححه الألباني في إرواء الغليل (٣١٨/٢).

(٢) رواه الترمذي (٢٩٣/١)، وقال: حسن صحيح. وصححه الألباني في صحيح الترمذي، برقم (٢١٧).

تعهد الصلاة، ولكنها هنا تتحول من قضية يؤجر عليها إلى أمر يلزمه على جهة الوجوب والركنية في دينه، هذا إضافة إلى تفصيلات أخرى جديدة، إذ الصلاة تقام في جماعة، وهنا ندلف في عملية دمج الشاب منذ أوائل مراحل بلوغه في قضية الدمج الاجتماعي، وعلى طاعة تتكرر في اليوم خمس ومرات.

وثمَّ مسائل متعلقة بالنصوص هي مما يلزم تربية الشاب والبالغ للتَّوّ عليها، وهي على النحو الآتي:

١ ـ تسوية الصفوف:

تعتبر تسوية الصفوف من إقامة الصلاة، كما ورد في الصحيح؛ فعن أنس بن مالك ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «**سووا صفوفكم؛ فإن تسوية الصفوف من إقامة الصلاة**»[(١)].

يقول القرطبي: «وأما تسوية الصفوف في الصلاة؛ فالآثار فيها متواترة من طرق شتى صحاح، كلها ثابتة في أمر

(١) صحيح البخاري (١/ ١٤٥).

رسول الله ﷺ بتسوية الصفوف، وعمل الخلفاء الراشدين بذلك بعده، وهذا ما لا خلاف فيما بين العلماء فيه»[1].

ويلزم الإمام العمل على تسوية الصفوف، والتذكير به قبل كل صلاة جماعية؛ لأن «تسوية الصفوف من سُنَّة الصلاة عند العلماء، وإنه ينبغي للإمام تعاهد ذلك من الناس، وينبغي للناس تعاهد ذلك من أنفسهم، وقد كان لعمر وعثمان رجال يوكلونهم بتسوية الصفوف؛ فإذا استوت كبَّرا، إلا أنه إن لم يقيموا صفوفهم لم تبطل بذلك صلاتهم. وفيه: الوعيد على ترك التسوية»[2]. وأثر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كان يأمر بتسوية الصفوف؛ فإذا جاؤوه فأخبروه أن قد استوت؛ كبَّر[3].

ومعنى «**استووا**»؛ أي: اعتدلوا في الصلاة، بأن تكونوا

(١) انظر: الاستذكار (٢/ ٢٨٨).

(٢) شرح صحيح البخاري، لابن بطال (٢/ ٣٤٤).

(٣) الموطأ (٢/ ٢١٩).

على سمت واحد، «**ولا تختلفوا**» لا يتقدم بعضكم على بعض في الصفوف، ولا تختلفوا «**فتختلف**» بالنصب في جواب النهي «**قلوبكم**» بالتنافر والتباغض، وفيه أن اختلاف الأبدان سبب لاختلاف القلوب، وذلك عقوبة من جنس المعصية، كما هي سُنَّة الله ـ تعالى ـ، واختلاف القلوب منشأ كل بلاء وفتنة، كما أن سلامتها سبب كل خير ونعمة، ولذا امتن الله على عباده بتأليفه بين قلوبهم، وأخبر أن رسوله ﷺ لو أنفق ما في الأرض جميعًا ما ألّف بين قلوبهم... وهذا الوعيد دليل وجوب تسوية الصفوف[1].

وقوله: «**ليليني منكم أولو الأحلام**»؛ أي: العُقلاء، وقيل: البالغون،... وتقول: حلَم ـ بالفتح ـ واحتلم، وتقول: حلَمتُ بكذا وحلمتُه ـ أيضًا، ولكن غلب استعماله

(١) التنوير شرح الجامع الصغير (٢/ ٣٤٩)، المحقق: د. محمَّد إسحاق محمَّد إبراهيم، مكتبة دار السلام، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م.

في ما يراه النائم من دلالة البلوغ؛ فكان المراد ها هنا: ليليني البالغون[1].

ويفسر تخصيصهم بذلك بأوجه، منها: لاستخلافه إن احتاج، ولتبليغ ما سمعوه منه، وضبط ما يحدث عنه، والتنبيه على سَهْو إن وقع، ولأنهم أحق بالتقدّم، وليقتدي بهم مَن بعدهم. وكذا ينبغي لسائر الأمة الاقتداء بسيرته ـ عليه الصلاة والسلام ـ في كل حال من جموع الصلاة، ومجالس العلم والذكر، ومجالس الرأي، ومعارك القتال. وقوله: «**ثم الذين يلونهم**» معناه: الذين يقربون منهم في هذا الوصف[2]. وقيل: «**ثم الذين يلونهم**»؛ كالمراهقين، أو

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ١٣٩)، لابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري، ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ)، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي.

(٢) شرح سنن أبي داود (٣/ ٢٢٥)، للعيني، أبي محمد محمود بن =

الذين يقربون الأولين في النُهَى والحلم، «**ثم الذين يلونهم**»؛ كالصبيان المميزين، أو الذين هم أنزل مرتبة من المتقدمين حلمًا وعقلًا[1].

٢ ـ حكم صلاة الفريضة جماعة في المسجد وخارجه:

اختلف العلماء في حكم صلاة الجماعة؛ فذهبت طائفة من الحنفية والمالكية والشافعية: إلى أنها سُنَّة مؤكدة. وذهبت طائفة أخرى من هؤلاء إلى أنها فرض كفاية، إذا قام بها من يكفي، سقطت عن الباقين، وذهب الإمام أحمد وأتباعه، وأهل الحديث، إلى أنها فرض عين، وبالغت الظاهرية؛ فذهبوا إلى أنها شرط لصحة الصلاة.

واختار هذا القول أبو الوفاء ابن عقيل الحنبلي، وشيخ الإسلام «ابن تيمية».

= أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني (المتوفى: ٨٥٥هـ)، المحقق: أبو المنذر خالد بن إبراهيم المصري، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٣/ ٨٥٠).

واستدل الذاهبون إلى أنها سُنَّة بحديث «**صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة**»[1].

ووجه استدلالهم: أن كلًّا من صلاة الجماعة وصلاة الانفراد اشتركا في الأفضلية[2].

أما الموجبون لها على الأعيان؛ فدليلهم حديث تحريق البيوت على المتخلِّفين عن الجماعة؛ لأنه ﷺ لا يهمُّ بتعذيبهم إلا على كبيرة من كبائر الذنوب. ومنه ـ أيضًا ـ حديث الأعمى الذي استأذن النبي ﷺ أن يصلي في بيته لوعورة الطريق، وعدم القائد له؛ فلم يرخص له. ومنها: مشروعيتها في أشد الحالات، وهي وقت القتال[3].

---

(١) صحيح مسلم (١/ ٤٥٠).

(٢) انظر: تيسير العلام شرح عمدة الأحكام (ص١٠٧)، لأبي عبد الرحمٰن عبد الله بن عبد الرحمٰن بن صالح بن حمد بن محمد بن حمد البسام (المتوفى: ١٤٢٣هـ)، حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه وصنع فهارسه: محمد صبحي بن حسن حلاق، مكتبة الصحابة، الإمارات، مكتبة التابعين، القاهرة، الطبعة العاشرة، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٦م.

(٣) انظر: المرجع نفسه (ص١٠٨).

واختلف في المقصود بالجماعة: هل هي صلاة معينة أم كل صلاة مفروضة؟ «فقيل: هي صلاة العشاء، وقيل: العشاء والفجر، وقيل: الجمعة. قال يحيى بن معين: هو الجمعة لا غيرها. وقيل: هي كل صلاة»[1].

وذهب العيني إلى كون «الحديث يدل على أنه ﷺ أطلق على المؤمنين، الذين لا يحضرون الجماعة، ويصلون في بيوتهم من غير عذر ولا علة تمنع عن الإتيان، اسم المنافقين، على سبيل المبالغة في التهديد»[2].

فمحصلة هذه الأقوال حمل المكلف على أداء الصلاة المفروضة في جماعة، ما لم يحل عذر شرعي بينه وبين ذلك، وهو أمر يعني الكثير لبالغ للتَّوّ أن يأخذ نفسه على الالتزام بها على الوجه الذي درب به في طفولته ومراهقته...

(١) قوت المغتذي على جامع الترمذي (١/ ١٣٠).

(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٥/ ١٧٥).

التوصيف التربوي:

تعتبر العبادات وسيلة فعالة وأساسية للتربية الإسلامية، في مجال ترسيخ مبادئ العقيدة، وكذا تثبيت مختلف القيم الإسلامية، مما يفرض على المربين حسن استثمارها، بتوجيه الشباب للتعرف على ما تنطوي عليه من إمكانيات لتنمية قدرات النفس البشرية وأخلاقها الإيجابية. ويمكن تناول نماذج لبعض فوائد الصلاة الجماعية انطلاقًا من الأحاديث المذكورة على النحو الآتي:

١ ـ توضيح العلاقة بين تسوية صفوف الصلاة وتقارب القلوب:

يبيِّن حديث رسول الله ﷺ العلاقة المتينة بين تقارب الأبدان وتقارب القلوب، من خلال الاهتمام بتسوية الصفوف وتراصها، والتذكير بذلك في بداية كل صلاة؛ فتسوية الصفوف وعكسها كل منهما يؤثر في القلب صلاحًا أو فسادًا... وهذا ـ أيضًا ـ مما يؤكد أن الظاهر له تأثير في الباطن... ويجعل اختلاف الناس في الصف الواحد تقدُّمًا

وتأخُّرًا سببًا لفساد القلوب، والعكس بالعكس، تسوية الصفوف سبب شرعي لإصلاح ما في القلوب[1].

وعندما تتحاب القلوب فإنها تعين على تساند الأجساد وتلاحمها في صفوف الصلاة؛ مما يقوي تقاربها وينميه مع تكرار المشاركة في الصلاة الجماعية؛ فالقلب ملك مطاع ورئيس متبع، والأعضاء كلها تبع له؛ فإذا صلح المتبوع صلح التبع، ويبيِّن ذلك الحديث المشهور: «**ألا إن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد، وإذا فسدت فسد الجسد، ألا وهي القلب**»[2]. فالتحقيق في هذا المقام أن بَيْن القلب والأعضاء تعلُّقًا عجيبًا وتأثيرًا غريبًا[3].

٢ ـ صلاة الجماعة فرصة للبالغ لتمتين أواصر الأخوة والتراحم والتكافل:

من الآثار التربوية للصلاة الجماعية في المسجد أن

(١) موسوعة الألباني في العقيدة (٤/ ٦٢).

(٢) رواه البخاري (ص٥٢)، ومسلم (ص١٥٩٩).

(٣) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٣/ ٨٤٩).

اصطفاف المصلين في صفوف متراصة، تتحاذى فيها المناكب والأقدام، ويتحقق بها اندماج كامل بين الغني والفقير، والصغير والكبير، والعالم والجاهل؛ فتتعانق القلوب وهي متأثرة بتلاصق الأجسام واحتكاكها، وتنمحي الفوارق العرقية والاجتماعية وغيرها.

فهذا التلاحم بين الأبدان في صفوف الصلاة، والذي يتكرر في كل يوم خمس مرات، يوجد في القلوب استعدادًا كبيرًا للتآلف والتراحم والتواد؛ فإذا رواد المسجد الواحد أكثر محبَّةً وأخوَّةً وتماسكًا[1]. فمن أهم وظائف الصلاة الجماعية في المسجد تقوية أواصر الأخوة الإسلامية، التي تعتبر أساسًا للنهوض بجميع تكاليف الدين ومسؤولياته والتعاون عليها، وإشاعة روح التضامن والتكافل الاجتماعي

(١) عن النعمان بن بشير قال: (كان رسول الله ﷺ يسوي صفوفنا، حتى كأنما يسوي بها القداح، حتى رأى أنا قد عقلنا عنه، ثم خرج يومًا فقام حتى كاد يكبر، فرأى رجلًا باديًا صدره من الصف، فقال: **«عباد الله، لتسوّن صفوفكم أو ليخالفن الله وجوهكم»**، (رواه مسلم).

والمواساة بين المصلين[1].

ومن مقاصد الاجتماع على الصلاة في المسجد التواصل المستمر بين روّاده، والذي من خلاله يتعارفون فيما بينهم، ويتدارسون شؤونهم العامة والخاصة، ويتبادلون المنافع. وكلها قضايا بمثابة الفرصة المتجددة للبالغ للتَّوّ ليحسن الاندماج في مجتمعه، ويتحصل على فوائد هذه الشعيرة العظيمة.

٣ ـ دور الصلاة جماعة في توحيد الوجهة وترسيخ الهوية الإسلامية للأمة:

من مقاصد الصلاة الجماعية توحيد وجهة المسلمين، وذلك بتوحيد معتقداتهم وعباداتهم وأخلاقهم وعاداتهم، حيث تجمعهم في مكان واحد، يتوجهون فيه إلى الكعبة بمكة المكرمة، يعبدون ربًّا واحدًا بشعائر واحدة، وراء إمام

(١) انظر: دليل الأئمة والمرشدين الدينيين (ص٢١)، لعبد السلام الأحمر، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، الإيسسكو، ١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٣م.

واحد، يقفون خلفه في صفوف متراصة، يركعون جميعهم ويسجدون، ويتبعونه فيما يفعل في وقت واحد، وغايتهم من ذلك واحدة، هي عبادة الله الواحد الصمد. كما تُعَدُّ صلاة الجماعة في المسجد بمثابة مؤتمر صغير بين أهل المحلة الواحدة، يجتمعون كل يوم وليلة خمس مرات في مسجدهم؛ فيتواصلون ويتعارفون، ويحققون نواة الوحدة الإسلامية الكبرى[1].

وأثر التحام صفوف المسلمين في الصلاة يربي النفوس على العمل الجماعي المتناسق والمتكامل، في شتى مجالات الحياة العامة في المجتمع، وفي مختلف أنشطتها السياسية والاجتماعية والاقتصادية.

اقتراحات إعمال المقصد:

يمكن أن يقترح لإعمال هذه المقاصد الإجراءات الآتية:

(١) تيسير العلام شرح عمدة الأحكام (ص١٠٤).

- **في المجال الأسري والاجتماعي:**

○ تحفيز الأسرة لأولادهم من الشباب البالغين للتَّوّ على شهود الجمع والجماعات في المساجد.

- **في مجال المناهج الدراسية:**

○ دمج نصوص التحفيز لشهود الجمع والجماعات ضمن مناهج التعليم المتوسط والثانوي.

- **في مجال النشاط التربوي:**

○ ممارسة الشباب البالغين الصلاة جماعة في الأنشطة والرحلات؛ ليتدرجوا في هذا التكليف بمعية معلميهم.

- **في المجال الثقافي والإعلامي والتقني:**

○ بثُّ مواد محفزة عن فضائل صلاة الجماعة، وآثارها على الفرد والجماعة والأمة.

مقصد التعليم

المقصد العام: التعليم.

المقصد الخاص: التعرف على آداب وطرق تعلم العلم.

المقصد الجزئي: بيان كيفية توظيف التماري في تنشيط التعلم.

النص الأساسي:

عن ابن عباس رضي الله عنهما؛ أنه تمارى هو والحر بن قيس بن حصن الفزاري رضي الله عنه في صاحب موسى عليه السلام الذي سأل السبيل إلى لقيه. قال ابن عباس: هو خضر. إذ مر بهما أُبي بن كعب رضي الله عنه؛ فناداه ابن عباس؛ فقال: إني تماريت أنا وصاحبي هذا في صاحب موسى عليه السلام الذي سأل السبيل إلى لقيه؛ فهل سمعت رسول الله ﷺ يذكر شأنه؟ قال: نعم، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**بينا موسى عليه السلام في ملأ من بني إسرائيل، إذ قام إليه رجل؛ فقال: هل تعلم أحدًا أعلم**

منك؟ قال: لا. فأوحى الله ـ تبارك وتعالى ـ إليه: عبدنا خضر. فسأل موسى عليه السلام السبيل إلى لقيه، وجعل الله ـ تبارك وتعالى ـ له الحوت آية. فقيل له: إذا فقدت الحوت؛ فارجع؛ فإنك ستلقاه». قال ابن مصعب في حديثه: «فنزل منزلًا؛ فقال موسى لفتاه: آتنا غداءنا، لقد لقينا من سفرنا هذا نصبًا؛ فعند ذلك فقد الحوت؛ فارتدَّا على آثارهما قصصًا؛ فجعل موسى يتبع أثر الحوت في البحر، قال: فكان من شأنهما ما قصَّ الله ـ تبارك وتعالى ـ في كتابه»[1].

التوصيف العلمي:

تمارى ابن عباس والحر بن قيس في الخضر صاحب موسى، واحتكما إلى أُبَي بن كعب، الذي حدثهما عن رسول الله ﷺ أن موسى عليه السلام نفى علمه بأحد أعلم منه؛ فأوحى الله إليه أنه الخضر؛ فطلب من الله أن يجمعه به؛

(١) رواه البخاري في كتاب العلم (١/ ٢٦).

فأرشده إليه عن طريق الحوت في البحر؛ فكان من أمرهما ما قصه الله مفصّلًا في القرآن.

وذكر ابن بطال في شرح الحديث ثلة من فوائده التربوية؛ فقال: «وفيه: جواز التماري في العلم إذا كان كل واحد يطلب الحقيقة ولم يكن متعنتًا.

وفيه: الرجوع إلى قول أهل العلم عند التنازع.

وفيه: أنه يجب على العالم الرغبة في التزيد من العلم والحرص عليه، ولا يقنع بما عنده كما فعل موسى ولم يكتف بعلمه.

وفيه: أنه يجب على حامل العلم لزوم التواضع في علمه، وجميع أحواله؛ لأن الله ـ تعالى ـ عتب على موسى حين لم يرد العلم إليه، وأراه من هو أعلم منه»[1].

ونحصر الكلام في هذه البطاقة على دور التماري في التحصيل العلمي:

(١) شرح صحيح البخاري، لابن بطال (١/ ١٦٠).

جاء في «لسان العرب»: والامتراء في الشيء: الشك فيه، وكذلك التماري. والمِراء: المماراة والجدل، والمِراء أيضًا: من الامتراء والشك. وفي التنزيل العزيز: ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا﴾ [الكهف: ٢٢]؛ قال: وأصله في اللغة: الجدال، وأن يستخرج الرجل من مناظره كلامًا ومعاني الخصومة وغيرها، من مريت الشاة: إذا حلبتها واستخرجت لبنها(١).

قال العيني: قوله: «تماريت»؛ أي: تجادلت، من التماري وهو التجادل والتنازع... يقال: ماريت الرجل أماريه مراء؛ أي: جادلته(٢). وقال: «قوله: (هل تُمارُون؟)، بضم التاء والراء، من المماراة من باب المفاعلة، وهي: المجادلة على مذهب الشك والريبة... ومعنى التماري: الشك، من المرية بكسر الميم وضمها، وقرئ بهما في قوله

(١) لسان العرب (١٥/ ٢٧٨).

(٢) عمدة القاري (٢/ ٦٢).

ـ تعالى ـ: ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ﴾ [هود: ١٧]»[(١)].

ويقول القرطبي في قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾؛ أي: من الشاكين. والخطاب للنبي ﷺ والمراد: أمَّته. يقال: امترى فلان [في] كذا إذا اعترضه اليقين مرة والشك أخرى فدافع إحداهما بالأخرى، ومنه المراء؛ لأن كل واحد منهما يشك في قول صاحبه. والامتراء في الشيء: الشك فيه، وكذا التماري»[(٢)].

ويعتبر التماري وسيلة للاستزادة من العلم وتوضيح إشكالاته، ودفع الشك باليقين، وهو ما يؤكد «**جواز التماري في العلم إِذَا كان كل واحد يطلب الحقيقة غير متعنت**»[(٣)].

---

(١) انظر: المرجع نفسه (٦/ ٨٣).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٢/ ١٦٣).

(٣) التوضيح لشرح الجامع الصحيح (٣/ ٣٧٩)، ابن الملقن، سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (المتوفى: ٨٠٤هـ)، المحقق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، الناشر: دار النوادر، دمشق، سوريا، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م.

وهو ما يبدو مطلبًا غير ميسر دائمًا؛ حيث سرعان ما يتحول التماري إلى جدال عقيم، يريد كل طرف فيه أن ينتصر لفكره ورأيه، وإن تبين ضعفه، وتخطئة رأي غيره، وإن تبين صوابه. فعن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، قال: أقبلت فوجدت مجلسًا بفناء رسول الله ﷺ يتمارون في القرآن؛ فخرج عليهم رسول الله ﷺ مغضبًا؛ فقال: «**ما لكم والتماري في القرآن؛ فإن التماري في القرآن كفر، وإنما اختلفت الأمم قبلكم بالتماري في كتبهم والاختلاف على أنبيائهم**»[1]. فقد يشكك أحد المتمارين في رأي صاحبه وفهمه الصائب لكلام الله؛ فيقع في التشكيك في مدلول

(١) معجم الشيوخ الكبير، للذهبي (٢/٣٤٦)، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، المحقق: الدكتور محمد الحبيب الهيلة، الناشر: مكتبة الصديق، الطائف، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م. وإسناده حسن. انظر: السلسلة الصحيحة (٤/٢٧). بلفظ: (المراء في القرآن كفر).

قرآني صحيح، كما قد ينزلقان لإثارة قضايا من المتشابه؛ فيخوضان فيها بالهوى والظن البعيد؛ فينجران إلى دائرة الكفر. لذلك دعا رسول الله ﷺ إلى ترك المراء، حتى بالنسبة لمن كان محقًّا في رأيه وحججه؛ لأن الاستمرار فيه يؤدي إلى التعنُّت، وإن انجلى الحق وانكشف الخطأ: «**أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقًّا، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحًا، وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خُلُقه**»(١).

كما وجَّه القرآن إلى الاقتصاد في استعمال المراء بحسب ما تتحقق به مصلحة التعليم والبيان، وكي لا يتحول إلى جدال قليل النفع كثير الضرر؛ فقال ـ تعالى ـ: ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا﴾ [الكهف: ٢٢]؛ أي: إلا ما قد أظهرنا لك من أمر أصحاب الكهف، قاله مجاهد. وقيل:

(١) رواه داود (٤/٢٥٣)، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود، برقم (٤٨٠٠).

﴿مِرَآءً ظَٰهِرًا﴾؛ يعني: بحجة واضحة وخبر صادق[1].

فهذه النصوص تتجه كلها للاستفادة من إمكانيات التماري التعليمية، مع التنبيه على محاذره الكبيرة، التي يلزم التحرز منها عند وجود أسبابها وظروفها.

والشباب في مقتبل العمر وحداثة السن قد يقع في المراء والجدال مع رفاقه في قضايا كثيرة ومتنوعة، ولهذا لزم لمن يقوم عليهم أن يرشد حوارهم ليكون مراء متزنًا يقصد إلى الحق، لا مراءً يفضي إلى ما حذر الوحي منه.

التوصيف التربوي:

يتوقف توظيف أسلوب التماري في تحصيل المعرفة وتنميتها، وتقويم الفكر وتصحيحه، على تربية الشباب المولعين بحكم إقبالهم على طلب العلم، وتزايد رغبتهم في إثارة إشكالاته، على مراعاة الأمور المنهجية الآتية:

(١) انظر: تفسير الماوردي (٣/ ٢٩٨).

١ ـ تحاشي الشباب للمراء حين ينعدم الدليل أو يضعف:

ومن ذلك ما يتعلق بالقضايا الغيبية التي تعوزها الأدلة البيِّنة؛ فيحاول العقل ملء الفراغ الذي تتركه؛ فينتهي إلى ما يصعب التسليم به عند الآخرين؛ فتزداد الهوة بين المتجادلين، «كالجدال في القدر، وأفعال العباد، والمراء في أسماء الله وصفاته في معانيها وما تدلُّ عليه، وكذا في الأمور الغيبية من عذاب القبر، وصفته وما بعده، وغير ذلك؛ فإن أهل السُّنَّة يتوقفون عن ما لا يظهر لهم، ولا يجادلون أهل البدع، ولا يتنازعون في أمور الغيب التي ما أطلعهم الله عليها، وذلك من جملة عقيدتهم، حتى يجدوا دليلًا يقولون به»[1].

(١) أخلاق العلماء (ص٥٩)، للآجري، أبي بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّيُّ البغدادي (المتوفى: ٣٦٠هـ)، قام بمراجعة أصوله وتصحيحه والتعليق عليه: فضيلة الشيخ إسماعيل بن محمد الأنصاري، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، السعودية.

وبيَّن ابن عبد البر مزالق الجدال في مسائل العقيدة فقال: «وتناظرَ القوم وتجادلوا في الفقه، ونهوا عن الجدال في الاعتقاد؛ لأنه يؤول إلى الانسلاخ من الدين، ألا ترى مناظرة بشر فيقول الله ـ تعالى ـ: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧] قال: «هو بذاته في كل مكان». فقال له خصمه: فهو في قلنسوتك وفي حشك، وفي جوف حمارك... تعالى الله عما يقولون. «حكى ذلك وكيع، وأنا والله أكره أن أحكي كلامهم قبَّحهم الله؛ فعن هذا وشبهه نهى العلماء، وأما الفقه فلا يوصل إليه ولا ينال أبدًا دون تناظر فيه وتفهم له»[1].

أو يخوض الشاب والفتاة في المماراة مع زملائهم أو مخالفيهم عمومًا بمعرفة محدودة؛ فيحاول القيام باستنتاجات خاطئة تنطوي على كثير من العسف والمجازفة؛ مما يوسع نطاق الخلاف، ويزيد من شدة الاعتراض واللجج، والذي

(١) جامع بيان العلم وفضله (٢/٩٤٨).

لا يوصل إلى حقّ أو يبيِّن باطلًا. وقد قيل: (لو سكت من لا يعلم لقلَّ الخلاف).

٢ ـ الموازنة بين حفظ ود القلوب وبيان الحق:

كثيرًا ما يحتار طالب العلم بين إيثار حفظ العلاقة، التي تجمعه بمن يريد مماراته، وبيَّن سبر أغوار الحقائق الذي يتوسل إليه بالحوار والمراء، إذ العلم ينمو بالمناظرة والجدال، إذا صانه المتناظران عن التحول إلى تشبث كل طرف برأيه، والاستماتة في الدفاع عنه بما اتفق من الأدلة الواهية والحجج المتهافتة. نقل الآجري في أخلاق العلماء: «وعند الحكماء: أن المراء أكثره يغير قلوب الإخوان، ويورث التفرقة بعد الألفة، والوحشة بعد الأنس»[(١)].

وقال الغزالي: «وأشد الأسباب لإثارة نار الحقد بين الإخوان المماراة والمنافسة؛ فإنها عين التدابر والتقاطع؛ فإن التقاطع يقع أولًا بالآراء ثم بالأقوال ثم بالأبدان... وأشدُّ

(١) أخلاق العلماء، للآجري (ص٥٩).

الاحتقار المماراة؛ فإن من ردَّ على غيره كلامه فقد نسبة إلى الجهل والحمق، أو إلى الغفلة والسهو عن فهم الشيء على ما هو عليه، وكل ذلك استحقار وإيغار للصدر وإيحاش»[1].

ويتعيَّن التفريق بَيْن المراء التلقائي، الذي ينشب بَيْن اثنين على غير إعداد واستعداد، والذي يجري في إطار علمي وتربوي منظم، يجعله منضبطًا لقواعد منهجية وأخلاق وآداب المحاججة العلمية، وتكون النفوس عند استحضارها مهيأة للنقد والاعتراض، والتخطئة والتقويم والاعتراف بالحق، والاعتذار عن الخطأ.

٣ ـ كيف نحمل الشباب على حسن التماري:

فالمسلك السليم في التربية على استخدام المماراة، بغرض تدقيق المعارف وتقويم اعوجاج الأفكار، أن يوجه

(١) انظر: إحياء علوم الدين (٢/ ١٧٩ ـ ١٨٠)، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى ٥٠٥هـ)، الناشر: دار المعرفة، بيروت.

الشباب إلى حسن اختيار من يتحاورون أو يتناظرون معه، والذي يلزم أن يكون ممن يثقون في علمه وتحريه الحق والصواب ودورانه معه حيث دار.

وفي هذا الصدد يقول الآجري: «فإن قال قائل: فما يصنع في علم قد أشكل عليه؟ قيل له: إذا كان كذلك، وأراد أن يستنبط علم ما أشكل عليه، قصد إلى عالم ممن يعلم أنه يريد بعلمه الله، ممن يرتضى علمه وفهمه وعقله؛ فذاكره مذاكرة من يطلب الفائدة، وأعلمه أن مناظرتي إياك مناظرة من يطلب الحق، وليست مناظرة مغالب، ثم ألزم نفسه الإنصاف له في مناظرته، وذلك أنه واجب عليه أن يحب صواب مناظره، ويكره خطأه، كما يحب ذلك لنفسه، ويكره له ما يكره لنفسه»[1].

ويصلح التماري وتضمن فائدته، حين يأنس الطرفان من نفسيهما الحرص على معرفة الحق والتشبث به، متى ظهر

(١) أخلاق العلماء، للآجري (ص٦١ ـ ٦٠).

على لسان أيٍّ منهما، وإذا انخرم هذا الشرط ترك المراء؛ لأنه لا طائل من ورائه، بل يكون ضرره أكبر من نفعه، وفي هذا الاتجاه يضيف الآجري: «ومن صفة هذا العالم العاقل إذا عارضه في مجلس العلم والمناظرة بعض من يعلم أنه يريد مناظرته للجدل، والمراء والمغالبة، لم يسعه مناظرته؛ لأنه قد علم أنه إنما يريد أن يدفع قوله، وينصر مذهبه»[1].

وبخصوص كيف نربِّي على حسن التماري؛ فيحتاج إلى تنظيم حصص كاملة داخل الصف، يتمارى فيها التلاميذ مثنى مثنى، على أن يحدد الموضوع مسبقًا، ويقوم كل واحد بإعداده لفترة كافية، حتى يمكنهما التعمق في قضايا الموضوع، والوقوف على إشكالاته، ويتولى التلاميذ المتابعين للمناظرة رصد جوانب القوة والضعف لدى المتناظرين، ومدى تقيد كل منهما بقواعد التماري العلمي وآدابه.

(١) نفسه.

اقتراحات إعمال المقصد:

يمكن أن يقترح لإعمال هذه المقاصد الإجراءات الآتية:

- **في المجال الأسري والاجتماعي:**

  ○ تنظيم الوالدين للحوارات الإيجابية مع أولادهم من الشباب والفتيات؛ حتى يعتادوا التماري بأسلوب راق ومفيد.

- **في مجال المناهج الدراسية:**

  ○ دمج آداب الحوار والنقاش والجدال والتماري ضمن مناهج التعليم.

- **في مجال النشاط التربوي:**

  ○ تنظيم المعلمين لحلبات نقاش بين الشباب في الصف وفي الأنشطة اللاصفية، من خلال الرحلات والمسابقات؛ للتعويد على أساليب النقاش العلمي المثمر.

- **في المجال الثقافي والإعلامي والتقني:**
  - تقديم نماذج خلاقة وملهمة من الشباب والفتيات القادر على المراء الراقي، عبر وسائل الإعلام المختلفة.

خامسًا

الخاتمة

الخاتمة

وهنا نصل بك أخي القارئ الكريم إلى ختام هذا الدليل المقاصدي، الذي اعتنى بمقاصد الشريعة الإسلامية من منظور تربوي لمرحلة البلوغ وبداية الشباب، وهي الممتدة من الخامسة عشرة أول البلوغ إلى الثامنة عشرة حيث يبدأ الجزء الثاني من مرحلة الشباب، وهو الرشد وبلوغ الأشد، وهي مرحلة غنية بالقضايا الجوهرية؛ لأنها أول زمان التكليف، ولهذا اتجهت المقاصد في مجملها لإدخال هذا الشاب والفتاة حديث العهد بالبلوغ إلى التكليف والتدرج به في درجاته.

وحين نجيد إدخال الشاب والفتاة في التكليف بتدرج نكون قد وصلنا به إلى مرحلة يتهيَّأ بها للمرحلة التالية، حيث تنبني عليها، ونبدأ في استثمار طاقاته وما رُبِّيَ عليه منذ صغره، وعبر مراحل نموه السابقة.

وقد تلخصت مقاصد المرحلة العامة في المقاصد الآتية:

- مقصد حفظ الدين.
- مقصد حفظ النفس.
- مقصد حفظ العقل.
- مقصد حفظ الأخلاق.
- مقصد حفظ النسل.
- مقصد التعليم.

وقد تضمن عددًا من المقاصد الخاصة والمقاصد الجزئية، التي فصلت المقاصد التربوية للمرحلة من خلال جمهرة النصوص الخاصة بهذه المرحلة. وقد تمحورت خلاصة تلك المقاصد التفصيلية حول ما يأتي:

استثمار سرعة اختيار الشباب عند البلوغ للإيمان والتدين، والتلطف بهم في تدرجنا بهم في تدينهم، مع تعميق

مرجعية الوحي كأصل لا يتنازل عنه، مع لزوم الاهتمام بممكنات رسوخ الأخلاق لدى حديث العهد بالبلوغ، والعناية بخلق العفة من خلال الزواج وغض البصر، وترشيد جنوح البالغ الفطري للاستقلال بمساعدته على الاستقلال بتدرج مقبول، وحضه على الإحسان إلى والديه، والعناية بعقل البالغ وتيسير التعليم له، وحضه عليه، وتحصينه من الانحراف والغلو، وتيسير المباح من اللهو، وتشجيعه على فعل الخير، ودعم عنايته بالجمال، وضبط تعامل البالغ مع العورات، وتيسير العفة، وتعميق الدافعية للعلم، وربطه بالعلماء، وضبطه فقه العبادات.

سادسًا

المراجع والمصادر

المراجع والمصادر

١ ـ **أحكام القرآن**، علي بن محمد المشهور بالكيا الهراسي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٥هـ.

٢ ـ **أحكام القرآن**، لأحمد بن علي الجصاص، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٤٠٥هـ.

٣ ـ **أحكام القرآن**، للقاضي محمد بن عبد الله ابن العربي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ١٤٢٤هـ.

٤ ـ **إحياء علوم الدين**، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، الناشر: دار المعرفة، بيروت.

٥ ـ **أخلاق العلماء**، أبي بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّيُّ البغدادي، قام بمراجعة أصوله وتصحيحه والتعليق عليه: فضيلة الشيخ إسماعيل بن محمد الأنصاري، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، السعودية.

٦ ـ **أدب الدنيا والدين**، لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، الناشر: دار مكتبة الحياة.

٧ ـ **إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري**، لأحمد بن محمد القسطلاني، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر ١٣٢٣هـ.

٨ ـ **إرشاد العقل السليم**، لأبي السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٩ ـ **أساليب دعوة العصاة**، لعبد الرب بن نواب الدين بن غريب الدين آل نواب، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ١٤٢٤هـ.

١٠ ـ **استثمار السيرة النبوية في بناء العلوم النفسية «التحصين النفسي للشباب أنموذجًا»**، لعبد الله الطارقي، منشورة ضمن أوراق عمل المؤتمر الدولي الثاني للباحثين في السيرة النبوية، مؤسسة مبدع، فاس ٢٠١٥م.

١١ ـ **الاستذكار**، المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

١٢ ـ **إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان**، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، المحقق: محمد حامد الفقي، الناشر: مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية.

١٣ ـ **اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم**، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، الناشر: دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، الطبعة السابعة، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م.

١٤ ـ **إكمال المعلم بفوائد مسلم**، لعياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل، المحقق: الدكتور يحْيَى إِسْمَاعِيل، الناشر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

١٥ ـ **أوضح التفاسير**، لابن الخطيب محمد محمد عبد اللطيف، المطبعة المصرية ومكتبتها، الطبعة السادسة، رمضان ١٣٨٣هـ ـ فبراير ١٩٦٤م.

١٦ ـ **البحر المحيط في التفسير**، لأبي حيان الأندلسي، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤١٠هـ.

١٧ ـ **بداية المجتهد ونهاية المقصد**، لأبي الوليد محمد بن أحمد ابن رشد القرطبي، دار الحديث، القاهرة، مصر، ١٤٢٥هـ.

١٨ ـ **البداية والنهاية**، أبو الفداء محمد بن إسماعيل بن كثير، ١٤٢٠هـ، دار الفكر، بيروت، لبنان.

١٩ ـ **البداية والنهاية**، للحافظ أبي الفداء محمد بن إسماعيل بن كثير، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٨هـ.

٢٠ ـ **تاريخ الإسلام**، للإمام الذهبي، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ.

٢١ ـ **تاريخ علماء الأندلس**، لابن الفرضي عبد الله بن محمد، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة الطبعة الثانية.

٢٢ ـ **تصنيف المراحل العمرية**، لعبد الله الطارقي، من منشورات مركز قراءات لبحوث ودراسات الشباب بجدة.

٢٣ ـ **تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، لابن عطية الأندلسي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٢هـ.

٢٤ ـ **تفسير الشعراوي ـ الخواطر، لمحمد متولي الشعراوي**.

٢٥ ـ **تفسير الطبري**، جامع البيان في تأويل القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٤٢٠هـ.

٢٦ ـ **تفسير الفخر الرازي «مفاتيح الغيب»**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٤٢٠هـ.

٢٧ ـ **تفسير القرآن العظيم**، لابن كثير أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

٢٨ ـ **تفسير القرآن الكريم**، عبد الله محمود شحاتة، الطبعة الثانية، دار غريب بالقاهرة، ٢٠٠٠م.

٢٩ ـ **التفسير القرآني للقرآن**، لعبد الكريم يونس الخطيب، الناشر: دار الفكر العربي، القاهرة.

٣٠ ـ **التفسير الميسر**، نخبة من أساتذة التفسير، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، السعودية، الطبعة الثانية، ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م.

٣١ ـ **التنوير شرح الجامع الصغير**، المحقق: د. محمَّد إسحاق محمَّد إبراهيم، مكتبة دار السلام، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م.

٣٢ ـ **التوضيح لشرح الجامع الصحيح**، ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري، المحقق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، الناشر: دار النوادر، دمشق، سوريا، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م.

٣٣ ـ **تيسير العلام شرح عمدة الأحكام**، لأبي عبد الرحمٰن عبد الله بن عبد الرحمٰن بن صالح بن حمد بن محمد بن حمد البسام، مكتبة الصحابة، الإمارات، مكتبة التابعين، القاهرة، الطبعة العاشرة، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٦م.

٣٤ ـ **تيسير الكريم الرحمٰن في تفسير كلام المنان**، لعبد الرحمٰن بن ناصر بن عبد الله السعدي، المحقق: عبد الرحمٰن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م.

٣٥ ـ **التيسير في أحاديث التفسير**، لمحمد المكي الناصري (المتوفى: ١٤١٤هـ)، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

٣٦ ـ **الجامع الصحيح للسنن والمسانيد**، المؤلف: صهيب عبد الجبار، تاريخ النشر: ١٥ ـ ٨ ـ ٢٠١٤م.

٣٧ ـ **جامع بيان العلم وفضله (١/ ١٦٩)**، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

٣٨ ـ **الجامع لأحكام القرآن الكريم**، للإمام القرطبي.

٣٩ ـ **جهود العلماء في العناية بتوجيه الشباب في السيرة النبوية**، لعبد الله الطارقي، مطبوع ضمن أوراق عمل المؤتمر الدولي الأول للباحثين في السيرة النبوية، تنظيم: مؤسسة مبدع، فاس، ٢٠١٢م.

٤٠ ـ **الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء**، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، الناشر: دار المعرفة، المغرب، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

٤١ ـ **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، الناشر: السعادة، بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م، ثم صورتها عدة دور منها، دار الكتاب العربي، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، دار الكتب العلمية، بيروت.

٤٢ ـ **دعه فإنه مراهق، قراءات في تحرير مصطلح المراهقة**، لعبد الله الطارقي، كنوز المعرفة جدة ـ السعودية، ٢٠١١م.

٤٣ ـ **دليل الأئمة والمرشدين الدينيين**، لعبد السلام الأحمر، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، الإيسسكو، ١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٣م.

٤٤ ـ **الرحلة في طلب الحديث**، للخطيب البغدادي أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي، المحقق: نور الدين عتر، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٥م.

٤٥ ـ **روضة المحبين ونزهة المشتاقين**، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

٤٦ ـ **زاد المسير في علم التفسير**، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمٰن بن علي بن محمد الجوزي، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

٤٧ ـ **سير أعلام النبلاء**، محمد بن أحمد الذهبي، ١٤١٧هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

٤٨ ـ **شرح سنن أبي داود**، للعيني، أبي محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني (المتوفى: ٨٥٥هـ)، المحقق: أبو المنذر خالد بن إبراهيم المصري، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

٤٩ ـ **شرح صحيح مسلم**، للإمام يحيى بن شرف الدين النووي، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٣٩٢هـ.

٥٠ ـ **شرح عمدة الأحكام**، لابن جبرين، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية:
http://www.islamweb.net

٥١ ـ **صحيح الترغيب والترهيب**، محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتَبة المَعارف لِلنَشْرِ والتوزيْع، الرياض ـ المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

٥٢ ـ **صفوة التفاسير**، لمحمد علي الصابوني، الناشر: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

٥٣ ـ **الصيام والتربية على التقوى**، لعبد السلام الأحمر، مطبعة طوب بريس، الرباط، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

٥٤ ـ **علم الأخلاق الإسلامية**، المؤلف: مقداد يالجن محمد علي، الناشر: دار عالم الكتب للطباعة والنشر الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

٥٥ ـ **فتح البيان في مقاصد القرآن**، لصديق حسن خان القنوجي البخاري، المكتبة العصرية.

٥٦ ـ **فلسفة الزي الإسلامي**، المؤلف: أحمد الأبيض، الناشر: دار قرطبة للطباعة والنشر، الدار البيضاء، ١٩٩٠م.

٥٧ ـ **في ظلال القرآن**، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: ١٣٨٥هـ)، الناشر: دار الشروق، بيروت، القاهرة، ط١٧، ١٤١٢هـ.

٥٨ ـ **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، المؤلف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٥٦هـ.

٥٩ ـ **الكافي في فقه الإمام أحمد**، لابن قدامة المقدسي، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

٦٠ ـ **مجلة البحوث الإسلامية**، مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.

٦١ ـ **مختصر اختلاف العلماء**، لأبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي، الناشر: دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ.

٦٢ ـ **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

٦٣ ـ **المستدرك على الصحيحين**، لأبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري، المعروف بابن البيع، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م.

٦٤ ـ **مشارق الأنوار**، للقاضي عياض اليحصبي، المكتبة العتيقة، تونس، (بدون تاريخ).

٦٥ ـ **مشكاة المصابيح**، المؤلف: محمد بن عبد الله الخطيب العمري، أبو عبد الله، ولي الدين التبريزي (المتوفى: ٧٤١هـ)، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٥م.

٦٦ ـ **معجم الشيوخ الكبير**، للذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، المحقق: الدكتور محمد الحبيب الهيلة، الناشر: مكتبة الصديق، الطائف، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

٦٧ ـ **معجم مقاييس اللغة**، لأحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ.

٦٨ ـ **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة**، لابن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت.

٦٩ ـ **المنتقى شرح الموطأ**، لأبي الوليد الباجي، مطبعة السعادة، ١٣٣٢هـ.

٧٠ ـ **مهارات التواصل مع الأولاد**، كي تكسب ولدك؟ لخالد بن سعود بن عبد العزيز الحليبي، مركز الملك عبد الله للحوار الوطني، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ.

٧١ ـ **موسوعة الفقه الإسلامي**، لمحمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري، بيت الأفكار الدولية، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م.

٧٢ ـ **موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة**، المؤلف: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مصر، أعده: للشاملة عويسيان التميمي البصري، [الكتاب مرقم آليا].

٧٣ ـ **نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم**، المؤلف: عدد من المختصين، بإشراف: الشيخ صالح بن عبد الله بن حميد، إمام وخطيب الحرم المكي، الناشر: دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة.

٧٤ ـ **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، للبقاعي أبي الحسن إبراهيم بن عمر بن حسن الرُّباط بن علي، برهان الدين البقاعي، مفسر، مؤرخ، محدّث، أديب، والبقاعي نسبة إلى البقاع في لبنان.

٧٥ ـ **النهاية في غريب الحديث والأثر**، لابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

٧٦ ـ **الوافي بالوفيات**، لصلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، الناشر: دار إحياء التراث، بيروت، عام ١٤٢٠هـ.

٧٧ ـ **الولاية في النكاح**، لعوض بن رجاء بن فريج العوفي، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.